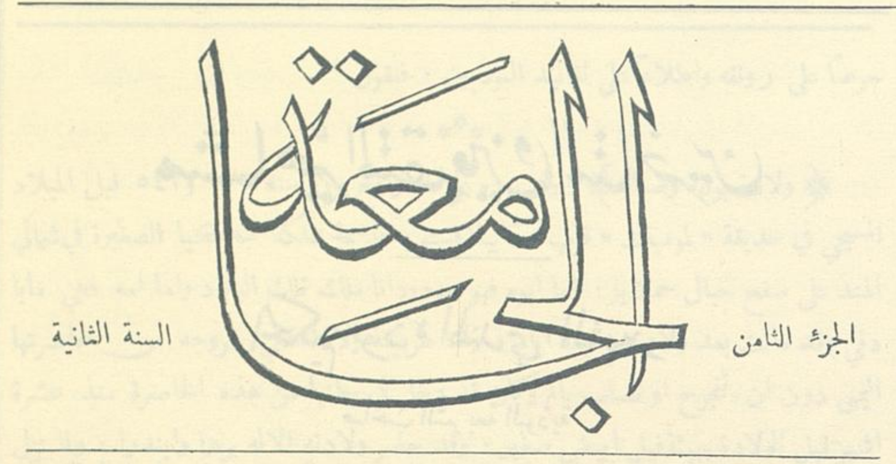


الجزء الثامن السنة الثانية

الاسكندرية نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٠ — رجب سنة ١٣١٨



بوذه الحكيم

وهو جالس تحت الشجرة يتأمل ويتفكر ليكتسب الروح وقد آلى على نفسه أن لا ينهض قبل ان يكتسبها ولو يبست جثته . وهذا الرسم وجد على هذا الشكل في آثار الهند . الشجرة فوق بوذه وتحته البساط الاخضر

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الحكيم بوذه الهندي الشهير

صاحب الشريعة البوذية

قال الفيلسوف تولستوي . « اليس بوذه والمسيح هما اللذان غيرا هيئة العالم وخلقا ملايين الناس خلقاً جديداً » . وقال العلامة مكس مولر « لو لم يكن بوذه انساناً لقلنا انه اله » . وقال المؤرخ رنان « انني اذا بحثت في شوونك يا بوذه دنوت منك باحترام ورهبة كالاحترام والرهبة الواجبين للآلهة »

لم نلق احداً من قراء الجامعة بعد صدور الجزء الماضي الا وذكر لنا مقالة تولستوي التي نشرناها في صدر ذلك الجزء واطنب في الثناء عليها . وفي الحقيقة ان تلك المقالة قد شغلت حيزاً ما كنا نتوقعه لها والفضل في ذلك للموضوع نفسه لانه موضوع جديد بالاضافة الى عصرنا

وقد خطر لنا بعد هذه المقالة ان نردفها باربع مقالات ذات علاقة بها من حيث الفلسفة الدينية وذلك لما رايناه من ميل العقول الى هذه المباحث الخطيرة التي تهم كل انسان وتشغل فكر كل ناطق . وسنودع المقالة الاولى تاريخ بوذه الفيلسوف الهندي الكبير صاحب الشريعة البوذية والثانية تاريخ صاحب الشريعة الموسوية والثالثة تاريخ حياة المسيح كما يكتبها اللاهوتيون وكما يكتبها العلماء والرابعة تاريخ صاحب الشريعة الاسلامية ونحن نكتب من هذه المقالات المقالة الاولى عن بوذه الحكيم ونعهد بالمقالات الاخرى الى ثلاثة من افاضل الكتاب الذين نعهد فيهم العلم والمقدرة وخصوصاً النزاهة والاعتدال فضلاً عن التضلع من الموضوع الذي نطلب منهم الكتابة فيه . ولا ريب عندنا ان القراء سيقرأون هذه المقالات الاربع الفريدة في هذا الموضوع الفريد بارتياح عظيم

ونبدأ الآن بكتابة ترجمة بوذه . ولكن يجدر قبل الشروع في ذلك ان ننبه القراء اننا نسرد تاريخ بوذه كما يقصه البوذيون انفسهم اي بما فيه من الخوارق والمعجزات . ولا نجرده منها

حرصاً على رونقه واطلاعاً على تقاليد البوذيين . فنقول

***

﴿ ولادة بوذه وصباه ﴾ ولد بوذه على الارجح بين سنة ٦٢٢ و٥٤٢ قبل الميلاد المسيحي في حديقة "لومبنت" قرب "كابيلافستو" عاصمة مملكة سكيا الصغيرة في شمالي الهند على سفح جبال حملايا . اما ابوه فهو سودودانا ملك تلك البلاد واما امه فهي مايا دفي وقد ماتت بعد ولادته بسبعة ايام . واما طريقة ولادته فهي خروجه من خاصرتها اليمنى دون ان تنجرح او تصاب بالم وكان قد دخل في بطنها من هذه الخاصرة منذ عشرة اشهر قبل الولادة بهيئة فيل ابيض صغير . وقد حضر ولادته الاله برهما واندرا . ولما نزل من بطن امه خطا بضع خطوات في الجهات الاربع معلناً بذلك انه جاء لهذا العالم ليفني المرض والشيخوخة والموت . وقد ولد ساعة ولادته اربعة من ابناء الملوك . وسماه ابوه من فرحه به «سرفارتاسيد دا» اي (بلوغ كل الامال)

وقد ربته عمته «براجاباتي» اخت امه التي كانت زوجة لابيه ايضاً فوجدت في جسمه العلامات التي تدل على انه سيكون رجلاً عظيماً يمتلك ناصية الحكمة ويتسلط تسلطاً عاماً وهذه العلامات هي ٣٢ علامة اصلية و٨٠ علامة فرعية

وقد اظهر بوذه منذ صغره نباهة وذكاء غريبين في كل الرياضات العقلية والجسدية حتى انه كان يعلم مقدماً كل ما يريدون تعليمه اياه . ويروون من ذلك ان معلم المدرسة اراد يوماً ان يعلم بوذه طريقة الكتابة فسبقه بوذه وشرح له اصول ٦٤ نوعاً من انواع الكتابة الهندية وغير الهندية مما لم يسمع ذلك المعلم به قبلاً فلبث لدى ذلك الفتى مبهوتاً مدهوشاً . وكان مع سنه يعمد الى رياضات عقلية وجسدية تدلُّ على ان في جسمه نفس رجل فوق البشر . ويروي الهنود انه لما كان بوذه يروض عقله تحت الشجرة بالتامل الشديد كان ظلها لا يفارقه وقاية له . وكان شائعاً لدى الهنود ان التامل تحت الاشجار يُكسب الحكمة

***

﴿ نفس لا تعبأ بشؤون هذا العالم ﴾ وقد اشتهر بوذه منذ صباه بشؤون عظيمة وذلك مما كان يساعده على بلوغ اعلى مراتب المجد لو اراد ولكنه كان يشعر منذ صغره بانقباض شديد في نفسه لا يعرف له سبباً وبحزن دائم مستمر لا يذهب به شيء فكان اهله يباغتونه في الحديقة تحت الاشجار مبهوتاً غائصاً في الافكار والتاملات غير شاعر بشيء من العناصر التي حوله . فيسألونه ما بك ياغوتاما لان اسمه الحقيقي هو غوتاما لا بوذه

كما سيرد معنا . فلا يجيبهم بكلمة بل يكون جوابه احياناً دمعة تنحدر من عينيه وتنهد يخرج من صدره . فيتساءل اهله ما سبب هذا الانقباض . وما الطريقة لازالته

ولما اشتدت عليه هذه الحالة ارادوا ان يشغلوا عقله بالزواج خوفاً على حياته فازوجوه بالفتاة « كوبه » ابنة « سكيادندباني » ظناً منهم ان فكره ينصرف عن التامل . ومنهم من يقول انه لم يتزوج بواحدة بل باربعة . ومنهم من يرى ان عدد نسائه بلغ ٨٠ الف امرأة . ولكن المحققين على انه لم يتزوج الا امراة واحدة

وبقي بوذه بعد الزواج كما كان قبله منقبضاً حزيناً يحلو له التامل والافتكار في معزل عن جميع الناس اكثر من كل شيء . ومما زاد الطين بلة ان امراته لم تلد له ولداً ليشتغل به الا بعد انقضاء عشر سنوات على زواجهما فانها وضعت حينئذٍ غلاماً فحزن بوذه لذلك حزناً شديداً لانه كان يفكر في ذلك الوقت في قطع ما له من العلائق والصلات بالهيئة الاجتماعية وهذا الولد يزيد ويقوي صلاته بها . ومنهم من يقول ان امراة بوذه لم تلد الغلام الا بعد انقضاء ست سنوات على هجر بوذه لها فذهب بعضهم الى ان الولد احدى كرامات بوذه بقي في جوف امه وخرج حينما اراد . وغيره عيَّرها بانه من غير بوذه فاستشاطت غيظاً وتناولت حجراً وربطت الغلام به ثم اجلسته عليه والقته مع الحجر في النهر قائلة ان الولد اذا كان ابن بوذه فانه يطفو هو والحجر على وجه الماء واذا لم يكن بابنه فانه يغرق . فطفا الولد والحجر على الماء دلالة على انه من بوذه . ولكن الامر الذي لا خلاف فيه ان بوذه كان غير راض كل الرضى عن سيرة زوجته وكان يشك فيها

***

﴿ المشاهدات الاربع التي جعلته يترك العالم ﴾ على ان ارتياب بوذه في امراته وعدم راحته في معيشته العائلية لم يكونا السبب في قطعه علائقه مع الهيئة الاجتماعية بل ان التقاليد البوذية تجعل السبب في ذلك المشاهدات الاربع التي رآها . وبيان ذلك ان اهله رغبة في ازالة انقباضه وحزنه اللذين مرَّ ذكرهما قد اتخذوا كل الوسائل لمنعه من رؤية ما يثير الانقباض في نفسه كالمناظر المحزنة والحوادث المكدرة . ففي ذات يوم خرج بوذه من قصر ابيه للتنزه في مركبة . فمن سوء حظه او من حسن حظه وجد في طريقه شيخاً احنت الايام ظهره . والبوذيون يقولون ان الآلهة هي التي جعلت ذلك الشيخ في طريقه ليؤثر فيه . فلما رأى بوذه عذاب الشيخ الوى عنان الجواد وعاد الى القصر من حيث اتى واخذ يندب حظ البشر ويرثي الشيوخ لما يعانونه من العذاب . هذا هو المشهد الاول .

وفي المرة الثانية خرج فجعلت الآلهة في طريقه مريضاً . فعاد في الحال منقبضاً واخذ يندب المرضى ويرثي لحالهم . وفي المرة الثالثة خرج فصادف جنازة فثارت نفسه كلها فعاد وفيها مرارة الموت . وبعد ايام خرج فجعلت الآلهة في طريقه ناسكاً فلما شاهده بوذه رأى في وجهه هدوء الراحة ونعيم البال وسكون الضمير خلافاً للمشاهد الثلاثة الاولى فعزم منذ هذه الساعة ان يترك العالم ويطلب هذه الراحة التي شام برقها في وجه ذلك الناسك فقصد اباه وطلب منه ان يأذن له باعتزال البشر والتنسك في البرية فرفض ابوه ذلك رفضاً قطعياً فعزم بوذه حينئذٍ على الفرار من القصر لبلوغ امنيته

***

﴿ بداية اعتزاله العالم ﴾ وكان اذ ذاك في التاسعة والعشرين من العمر . ففي احدى الليالي شد جواده « كنتنا » الى مركبته ثم ركبها وخرج سراً من القصر . وقد ساعدته الآلهة فانامت الحراس وفتحت له الابواب بايديها فخرج بوذه فلقي في طريقه صياداً فاعطاه ملابسه الملوكية واخذ ملابس الصياد وهي من نسيج ثخين ذي لون احمر يشوبه اصفرار . فلبسها ثم تناول سيفه فقص به شعره وراح طريداً على وجهه ينشد الحقيقة التي ما كان يجدها

فمنذ هذا الحين اصبح يُدعى سكياموني « اي ناسك سكيا » وهو اللقب الذي كان يُعرف به . وما زال سائراً وحيداً شريداً حتى بلغ مدينة « فايسالي » التي كان يعلم فيها العالم الهندي آراتا كالاما فتتلمذ بوذه له مدة وجيزة ولكنه ما لبث ان ادرك نقص فلسفته ففارقه وقصد « رادجا كريها » عاصمة « مكادا » فدرى به ملكها « بميساره » احد الملوك الاربعة الذين ولدوا يوم ولادته فعرض عليه ان يشاركه في ملكه فرفض بوذه ذلك واعتزل الناس في الجبال المجاورة وما كان ينزل منها الا لحضور الدروس التي كان يلقيها العالم " رودرا كا " ابن " راما " . ولكنه بعد قليل راى نقص فلسفة هذا الرجل كما راى نقص فلسفة " اراتا كالاما " فهجره وسار الى جهات قفراء في جبل كايا واقام فيها

***

﴿ بدء قهره النفس واكتسابه الروح ﴾ وهنا يبدأ تنسكه الصحيح . فانه لزم هذا المكان ست سنوات مروضاً نفسه فيها على كل اسباب القهر والامتناع توصلاً الى الحقيقة . وقد اخذ يمتنع عن الاكل بالتدريج حتى صار لا يأكل الا قبضة صغيرة من الارز في النهار . والبوذيون يقولون انه صار لا يأكل الا حبة ارز واحدة كأن حبة الارز يمكنها ان

تشغل في المعدة حيزًا . وكان يعوّد نفسه على قطع النفس وغير ذلك من المشاق وما زال على هذه المعيشة الهائلة حتى اصبح عجيفًا ضعيفًا لا همة له ولا عزيمة كأنه هيكل عظام او خيال في رمة . فعلم بوذه انه تاه عن طريق الحقيقة وان قهر النفس لا يوصل اليها فعزم على العدول عن هذه المعيشة

وكان سكان تلك النواحي ينظرون اليه من بعيد فيضحكون منه ويستهزئون به بمثل قولهم ان ناسك كايا اليوم اسود الوجه . ان ناسك كايا اليوم يشبه سمك ماد كورا . وهلمّ جرًا . وكان معه في منسكه في الجبل خمسة رفاق فطلب منهم ذات يوم ان ينزلوا معه من الجبل الى القرى فصحبوه فلما وصلوا الى قرية هناك قدمت بنت قروي الى بوذه طعامًا من اللبن والعسل فاكله بوذه بارتياح ولذة بعد ذلك الامتناع الطويل عن الطيبات . فلما راى رفاقه ذلك منه غضبوا وهجروه قائلين انه شره نهم يحب بطنه . اما بوذه فعادت اليه قواه بعد هذا الطعام فاستحم في النهر فاصبح قويًا كما كان قبل اقدامه على قهره نفسه ذلك القهر الذي هو افظع من طرق القتل

ومنذ هذا الحين اخذ يعيش عيشًا وسطًا بين معيشته الملوكية الاولى التي تحط النفس برخائها ومعيشته القهرية الثانية التي تضعف النفس وتقتلها . فاختار مكانًا صالحًا للتامل والافتكار وذلك تحت شجرة من التين الهندي لان الانسان لا يبلغ الكمال الا تحت ظل شجرة كهذه الشجرة . وهناك كان يقيم الليل والنهار متاملًا في امور هذه المعيشة باحثًا عن الحقيقة التي هي روح بوذه وروح بوذه التي هي الحقيقة . وكان لا يلبس يومئذ من لباس غير كفن من اكفان الاموات التقطه من احدى المقابر . وقد جعل تحته في ظل هذه الشجرة بساطًا من الخضرة وجلس عليه بعد ان اقسم انه لا يبرح مكانه الا متى اكتسب الروح ولو يبست جثته وجمد دمه (انظر الوسم في صدر الجزء)

فبدا هنا العراك بينه وبين العناصر الشريرة . فانه كما ان الالهة كانت تمهد له كل سبيل لبلوغ الحقيقة وتعليمها للناس كانت العناصر الشريرة تكره ذلك وتسعى في منعه من بلوغها . فجاءه « مارا » الشرير الاعظم وحاول تشتيت فكره وافقاده صبره باثارة العناصر ضده فبعث اليه المطر والزوابع والانواء فبقي بوذه مع ذلك جامدًا كالصنم تحت تلك الشجرة فوق بساطه السندسي . فلما راى الشرير ان الشدة لم تجدِ نفعًا عمد الى الطرق الجميلة اللينة فارسل الى بوذه بناته الثلاث الجميلات ليستهوينه اليس بحركاتهن الفتانة وجمالهن الساحر وكلامهن المسكر . فجئنه في الليل ولم يدخرن وسعًا في استمالته فبقي بوذه مع ذلك جامدًا

معرضاً عنهن غير عابئ بهن . فلما انقضت هذه التجربة الهائلة وخرج بوذه منها فائزاً انفتحت امامه مغاليق الحقيقة وحينئذ بلغ الروح الذي كان يطلبه واصبح « بوذه » فصار عالماً بالامور التالية (١) معرفة الحوادث والمخلوقات الماضية (٢) مقدرته على ازالة كل فكر رديء يجول في نفسه (٣) المعرفة التامة بكل شؤون الالوهية (٤) معرفة الاسباب الاثنى عشر وارتباطها بعضها ببعض (٥) العلم الكامل واقسامه الثلاثة . اي انه اوحي اليه بهذه الامور بعد طول تفتيشه عنها وتفكيره فيها واجتياز الطريق الوعرة الشاقة الموصلة اليها

ويقول انصار بوذه في الهند ان المكان الذي اكتسب فيه بوذه « الروح العلوية » لا يزال معروفاً والشجرة التي اخذ الروح تحتها لا تزال موجودة غير انها محاطة مع ذلك المكان بحاجز حفظاً لها . و يوجد تحتها احجار فيها كتابات منقوشة تدل على ان هذا المكان كان مزاراً عظيماً وكان الهنود يقصدونه من كل جانب

***

﴿ بدء تعاليمه ﴾ ولما اصبح سكيموني « بوذه » اقام سبعة اسابيع في ذلك المكان وعلى ضفات الانهار والبحيرات متردداً . وكان عمره اذ ذاك ٣٥ سنة . وقد اصبح لا ياكل ولا يشرب لان الالهة كانت تدخل الطعام الى جوفه بطرق سرية غير ان تردده وحذره لم يطولا فان الاله برهما نزل من السماء بنفسه وشدد عزيمته وقوى قلبه على اتمام عمله فتشدد وتقوى وعزم على الدعوة وتعليم الحقيقة التي اكتشفها

فسال اولاً عن العالمين اللذين سمع دروسهما فقيل له انهما ماتا . فسال عن الرفاق الخمسة الذين كانوا معه في بدء معيشته الزهدية فقالوا له انهم سافروا الى بيناريس فلحق بوذه بهم ليبدأ بتعليمهم وتلمذتهم . فلما علموا بمجيئه تواطئوا على ان يستقبلوه باحتقار و يعيروه بانه نهم شره . على انه ما دنا منهم حتى قاموا له اجلالاً لهيبته بالرغم عنهم فخطب بوذه فيهم خطبته الاولى التي يسمونها « الخطبة الاساسية » او الاصلية لانها اساس فلسفته . وهي مبنية على الامور التالية

***

﴿ فلسفته ﴾ وهذه الامور اربعة وهي قاعدة فلسفته كلها وهي . (١) وجود الالم (٢) سبب وجود الالم (٣) ازالة هذا السبب (٤) الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة سبب الالم . وهم يسمون هذه القواعد الاربع « القواعد التي بها يدار دولاب العالم » وغيرهم قال بل يسمونها « القواعد التي بها تنشأ مملكة العدل » وهذه التسمية ابلغ واجمل

وتوصلاً لفهم هذه الفلسفة يجب ان تعرف فروعها قبلاً . واليك بيان هذه الفروع

يرى بوذه وانصاره ان العالم كان من قبل لا شيء فخلقه الاله « كارما » لا « برهما » كما يظن بعضهم . وكارما هذا هو اله الجهالة . « فالجهالة » اذاً هي التي خلقت العالم

وقد خلقت « الجهالة » العالم وجعلت للناس مقدرة على الوصول الى المعرفة . ولكنها جعلت الطريق اليها صعبة فان الانسان يتكرر وجوده في مخلوقات عديدة من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل وهو ما يُعرف بالتقمص . فاليوم يكون انساناً وغداً فيلاً وبعد غد كلباً ثم نمراً ففاراً وهلم جراً . وقد يعود انساناً

ولكن لماذا هذا التقمص . الجواب انه عقاب على ما يفعله الانسان في حياته من الشرور . ولا يجوز له ان يستريح الا متى صار « بوذه » اي اكتسب الروح العلوية البوذية بحكمته وقوة ارادته . وكيف تكون راحته . راحته ان يعود الى العدم الذي خرج منه فلا يتقمص ولا يعود موجوداً

ولكن ما هو هذا العدم . هل هو التلاشي . كلا لان الكائن الصالح لا يتلاشى . هل هو الوجود . كلا لان الوجود يجب ان يكون محدوداً محصوراً . فما هو اذاً . لا يعلم ذلك احد . وهذا سبب من اسباب النزاع والخلاف بين انصار البوذية

فيؤخذ من ذلك ان الوجود الم والراحة هي في السكون وعدم التقمص اي في عدم الوجود في العالم . فمداواة ذلك الالم اذاً عبارة عن طلب الراحة اي ترك الوجود والدخول في العدم

وهنا نلتقي بالقواعد الاربعة التي هي اساس فلسفة بوذه وقاعدتها ازالة اسباب الالم بتعلم الحكمة وممارسة انواع الفضائل

⁂

﴿ آدابه ﴾ وهذه الفضائل عنده نوعان سلبية وايجابية . وكل نوع منها عدده عشرة لانه كان لديهم على ما يظهر لعدد العشرة معنى خاص

اما الفضائل السلبية العشر او الوصايا العشر فهي : (في دائرة العمل) اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزنِ (في دائرة القول) رابعاً لا تكذب خامساً لا تنمّ سادساً لا تهن احداً سابعاً لا تنطق بكلام لغو فارغ (في دائرة الفكر) ثامناً لا تبغض تاسعاً لا تشتهِ مال الغير عاشراً لا تخطىء في العقيدة

وبعضهم يرى لهذه الفضائل عدداً آخر وهو اولاً لا تقتل ثانياً لا تسرق ثالثاً لا تزنِ رابعاً لا تكذب خامساً لا تشرب شراباً مسكراً سادساً لا تاكل طعاماً محرماً سابعاً لا ترقص

ولا تنشد ولا تحضر موسيقى ولا ملاهي ثامناً لا تستعمل اكاليل الازهار والطيوب تاسعاً لا تنم على فراش عالية وعريضة عاشراً لا تقبل ذهباً ولا فضة

واما الفضائل الايجابية فهذا نصها

اولاً تصدق ثانياً كن حسن الادب ثالثاً كن صبوراً رابعاً كن نشيطاً خامساً كن عاملاً سادساً كن حكيماً سابعاً اختطَّ لك خطة تجري عليها ثامناً انذر النذور تاسعاً كن قوياً عاشراً كن عالماً

فهذه الفضائل السلبية والايجابية اذا عمل بها الانسان ازال الم وجوده وكفى نفسه عناء التقمص فاصبح «بوذه» اي دخل الى مملكة الراحة مملكة العدم وبقي فيها الى الابد

***

﴿انتشار دعوته﴾ وبعد انضمام الرفاق الخمسة في بيناريس الى بوذه وتتلمذهم له سافر بوذه من بيناريس الى «اوروفيلفا» قرب جبل (كايا) ليتلمذ ثلاثة من النساك هناك ولهم الف تلميذ · فلقيهم في الجبل وخطب فيهم خطبة يسمونها (نار الشهوات) وهي ابلغ ما قاله حتى سماها العلماء (خطبته على الجبل) وبعد ظفره بهم سافر الى (راجا كريها) فدخل اليها باحتفال عظيم ونزل الاله (اندره) ومشى في ذلك الموكب امامه · فوهبه ملك (راجا كريها) حرشاً ليتخذه مقاماً له ولتلامذته · وفي راجا كريها هذه تلمذ بوذه له اخص تلامذته وهما «ساريبوتره» التلميذ الذي يجلس عن يمينه وهو مشهور الحكمة «وموجالبانا» التلميذ الذي يجلس عن يساره وهو مشهور بالمهارة وصنع الغرائب

وكانت سمعته قد انتشرت في الهند كلها وطار صيته في كل ناحية منها · فبعث اليه ابوه الملك يسأله ان يزوره والح في هذا الطلب فعزم بوذه على ذلك مشترطاً ان لا ينزل في قصر الملك ابيه لانه لا يدخل القصور · فجرى له يومئذٍ في «كابيلفستو» مسقط راسه استقبال عظيم بلغ مبلغ الجنون · وقام جميع السكان في مملكة ابيه يطلبون ترك العالم ليتبعوه وكان في مقدمتهم الملك ابو بوذه فانه تنازل في الحال عن ملكه لما رآه من ان مجد ابنه الطبيعي البسيط قد كسف مجده · وحينئذٍ ارتفع صراخ النساء الهنديات من كل جانب لان ازواجهن واولادهن واخوتهن كانوا يهجرونهن افواجاً افواجاً ويتبعون بوذه الحكيم · فاضطر بوذه الى المداخلة وقرر عدداً معلوماً لكل عائلة لا يتجاوزه الذين يريدون ان يتبعوه منها · وقد غارت النساء من الرجال فجاءته عمته «كوتامي» وطلبت منه ان ينشئ جمعية مثل جمعيته للنساء فرفض اولاً ثم رضي بناء على الحاحها والحاح النساء

والّف لهنّ جمعية كجمعيته وجعل ادارتها لعمته مع ابقاء الرئاسة العليا له

***

❊ اخلاقه وطريقة معيشته وسبب انتشار دعوته ❊ وكان لانتشار دعوته هذا الانتشار العظيم في وقت قريب عدة اسباب . اولها ان نفوس الهنود كانت مستعدة لتلك التعاليم الجديدة التي جاء بها . فان الشعب الهندي كان تعيساً فقيراً مثقلاً باعباء الحياة وكان مذهب بوذه بمثابة انزال حمل الشعب عن ظهره . لانه الى ايّ شيء كان يدعوهم ؟ كان يدعوهم الى ترك كل شيء والمعيشة في الجبال والاحراش من غير اقتناء ذهب ولا فضة ولا الاعتداء على احد وتلك معيشة طيبة ولا سيما للنفوس الضعيفة الشديدة التاثر . وفضلاً عن ذلك فان اخلاق بوذه كانت تسحر تلامذته سحراً مبيناً . فان البشر لم يروا الى ذلك العهد رجلاً صبوراً لطيفاً حكيماً كارهاً للشر محباً للخير مثل ذلك الرجل . وكان يعلمهم اذا ضربكم احد فلا تلتفتوا اليه . اذا وجدتم غريقاً في نهر فالقوا انفسكم وانقذوه وان غرقتم . اذا اهانوكم فانفضوا ملابسكم تذهب الاهانة عنكم ولا تعبئوا بكلام الناس . وغير ذلك من المبادىء التي فعل بوذه بقوتها — لا بقوته — ما فعل من فتح العالم ونشر مذهبه فيه وحمل الناس على عبادته

وكانت معيشته اليومية كما ياتي . ينهض في صباح كل يوم باكراً فيرتدي بردائه البسيط ويتناول وعاء الشحاذة ثم يذهب في المدينة من باب الى باب طالباً قوته ورافضاً كل ما يُعطاه من الذهب والفضة . وكذلك كان يفعل تلامذته . ولما يعود الى مكانه في الحرش او الجبل يتناول في الظهر طعامه وهو الطعام الوحيد الذي ياكله في اليوم ثم يجلس للتامل والافتكار او للتعليم والوعظ

فهذه المعيشة البسيطة مع ما ذكرناه من اخلاق بوذه وحكمته استمالت الوف الشعب اليه وغلبت مذهبه على كل المذاهب التي كانت شائعة في الهند في ذلك الزمان

***

❊ عدد البوذيين في العالم ❊ وبقي بوذه يعظ الناس ويعلمهم ٤٥ سنة فعلا اسمه على كل اسم وصار الرجل الاعظم في هذا الوجود . وبعد موته انتشر مذهبه الى ما وراء الهند فتغلب على اديان الصين ومنشوريا وثيبة ومنغوليا واليابان وكوريا وسيلان وانام وغيرها من البلاد الواسعة حتى بلغ عدد المتدينين به نحواً من ٥٠٠ مليون نفس . وهي موزعة الآن كما يلي في سيلان ١٥٢٠٥٧٥ بوذيًا وبرمانيا ٥٤٤٧٨٣١ وسيام ١٠ ملايين وانام ١٢ مليوناً

والهند الاصلية (دجاينس) ٤٨٥ الفاً وهولانده ٥٠ الفاً والهند الانكليزية ٥٠٠ الف وآسيا روسيا ٦٠٠ الف وجزائر ليوكيو مليون وكوريا ٨ ملايين وبوتانيا وسيكيميا مليون وكشمير ٢٠٠ الف وثيبة ٦ ملايين ومونغوليا مليونان ومنشوريا ٣ ملايين واليابان ٣٢٧٩٤٨٩٧ ونابال ٥٠٠ الف والصين ٤١٤٦٨٦٩٩٤ فالمجموع في كل الجهات ٤٩٩ مليوناً و٧٨٥ الفاً و٢٩٧ بوذياً

وغني عن البيان ان المذهب البوذي لم يعد كما وضعه بوذه في الاصل بل قد تغير في كل مكان دخل اليه تبعاً لاخلاق سكانه وعاداتهم . واي دين بقي كما شرعه شارعه. مثال ذلك اهل الصين . فان هؤلاء البشر قد افسدوا الدين البوذي لانهم جعلوه دين فساد بعدان كان دين صلاح كما رايت . واذا قلنا دين صلاح فانما نقول ذلك بصرف النظر عن الاجتماع لان الاجتماع ودين بوذه نقيضان لا يجتمعان . وقد اتخذ اعداء بوذه هذا الامر حجة عليه فكانوا يقاومونه بقولهم ان مذهبك يخرب العالم فكأنه كان يجيبهم « وهل نحن عقدنا ميثاقاً مع العالم على ان نبقيه عامراً وما هذا العمار اذا كان الشقاء العظيم من نتائجه »

***

﴿ وفاته ﴾ وقد بلغ بوذه الثمانين من العمر فزاد طول عمره هيبته وكرامته لدى انصاره . وقد صرف من هذه السنين الطويلة ٢٩ سنة في قصر ابيه و٦ سنوات في قهر النفس في البرية والرياضة والتامل و٤٥ سنة في الوعظ والتعليم . ولكنه ابتلي في سنواته الاخيرة بالحزن والاضطهاد الشديد . فان تلميذيه الكبيرين توفيا قبله اي دخلا في « نيرفانا » التي هي مملكة العدم والراحة . ثم تولى مملكة فاكودا ملك لا يميل اليه فاضطهده وطارد انصاره حتى انه قد قتل احدى نساء ابيه لانها اوقدت مصباحاً اكراماً لبوذه . وبعد ذلك كله هاجم ملك كوزالا مملكة سكيا وطن بوذه وخربها ونهبها فكان ذلك حزناً جديداً للحكيم العظيم

وقد توفي بوذه بعد هذا العمر الطويل الذي يعتبره البوذيون احدى العجائب الكثيرة التي صنعها وذلك في مدينة « كوسانا كارا » من اعمال مالاس بين اربعة اشجار فيها . فاعتنى به في فراش موته تلميذه اندا وحده وهكذا طارت في فضاء الهند نسمات تلك الروح العظيمة التي اخذت منها

اما سبب وفاته فهو التخمة لانه اكل لحم خنزير . ولماذا اكل لحم خنزير . الجواب انه اخطأ في يوم من الايام خطأ ما فجعلت الالهة هذا الامر عقابه . ومن الغريب ان

يا كل بوذه في شيخوخته لحم خنزير هو الذي كان يقتصر على قليل من الارز في معيشته ·
ولكن متى وقع القدر عمي البصر

وقد احتفل باحراق جثة بوذه على طريقة الهنود احتفالاً لم يسبق له مثيل في الهند كلها وحزنت الناس والآلهة والطبيعة في ذلك اليوم حزناً شديداً فابرقت السماء وارعدت واظلم الفضاء وكادت تزلزل الارض · وبعد احراق جثته قسم رمادها ثمانية اقسام وجُعلت في ثمانية قبور للتبرك بها · وبعد مائتي سنة نبش ملك ازوكا هذه القبور وانشأ ٨٤ الف قبر مثلها ووضع فيها كلها من رماد بوذه وآثاره المحفوظة

والامر الغريب في الهند الآن ان الديانة البوذية قد تلاشت منها تقريباً مع انها مهدها الاول · واما سبب ملاشاتها فهو على الارجح اضطهاد البراهمة لها كما انها نشأت اولاً لمقاومة البراهمة

والاغرب من ذلك ان كثيرين من الباحثين ينكرون ان يكون قد وجد بوذه في العالم ويذهبون الى ان هذا الحكيم خيالي ولكن الصحيح انه وجد اذ اي رجل هندي غيره يقوم و يضع آداباً وفلسفة كالاداب والفلسفة البوذية ولا يرد ذكره في تاريخ الهند ومما يُنسب الى الغرابة ايضاً قولهم ان بوذه كان مسيحياً حتى استطاع ان يعلم تلك الاداب · على ان قولهم هذا بمثابة قول القائلين ان المسيح زار الهند قبل شروعه بالتعليم وكان بوذياً

***

﴿ الخاتمة ﴾ والخلاصة ان عظمة بوذه في ثلاثة امور (١) هجره القصور وتركه زخارف المعيشة الملكية ليعيش ببساطة في البرية و يعلم الحقيقة فيها · وهذا الامر مستصغر من رجل من السوقة ولكنه من ابن الملك امر عظيم · (٢) ان بوذه بادابه السامية ومعيشته الصارمة البسيطة احيي نفوس ملايين من البشر واعطاهم ان لم يكن الروح البوذي الالهي فالروح الادبي الذي مقتضاه طلب الخير البحت المجرد واجتناب الشر من اي نوع كان ولولاه لبقيت تلك النفوس في ظلمات الخشونة والغباوة · فبالروح الادبي ساد بوذه واحيي نصف العالم تقريباً (٣) اننا لا نرى الآن اداب بوذه وفلسفته شيئاً عظيماً لقيام المسيحية والاسلامية بعدها ولكن اذا ذكرنا ان بوذه ابتكر تلك الاداب السامية والفضائل الرائقة لما كان العالم في اقصى درجات الهمجية استحق ان يكون لدينا هذا الحكيم العظيم في اعلى مقام وان كان لم يصل الى التوحيد ووجب ان لا نذكر اسم هذا العامل الذي خدم نصف الانسانية خدمة جليلة الا بالثناء والاحترام فانطاطئ الرؤوس امام بوذه

باب المقالات

الهيئة الاجتماعية في رومه

في بداية القرن الاول للميلاد (١)

كيفية زينة نساء رومة ووخز الدبابيس · تيوفين الجميلة الفاضلة · اتخاذ العبادة وسيلة للتنزه · افعى تشهد بفضيلة العذارى · الالاهة ديانا وهيكلها وعبادتها وذبيحتها واختيار كاهنها بالقتل · ملاهي الرومانيين · الشبان المتزلفون للنساء · المرأة في الهيئة الرومانية · مكانة الاولاد واين كانت عواطف الام · فبضلة النساء والطلاق · هل كانت هيئتهم اكثر فساداً ممن اتى قبلهم او بعدهم · كلمة لسنيكا الحكيم

نقلنا في الجزء السادس عن العالم شلومبرجر وصف الهيئة الاجتماعية في الاستانة في القرن العاشر للميلاد اي منذ ٩٣١ سنة · وقد كان لهذه المقالة وقع حسن لدى القراء فاحببنا ان نردفها بمقالة اخرى في وصف الهيئة الاجتماعية في رومه القديمة في ايام القيصر اغسطس اول امبراطرة الرومان الذي ولد في سنة ٦٣ قبل المسيح وتوفي في سنة ١٤ بعده· وكانت رومه في ايام ملكه الاخيرة قد الفت حكم رجل واحد فسكنت وتركت الفتن والاضطراب والعالم استراح من الحروب الهائلة التي خضبت اصقاعه بالدماء وكل شيء فيه ساكت ساكن كأنه علم بذلك النور الذي انبثق في اورشليم فشغله النظر اليه عن كل شغل او انه كان قد ملّ قديمه من الجهد فسكن ولبث ينتظر الجديد

واليك المعيشة الاجتماعية في رومه في ذلك الزمان نعتمد في وصفها على مقالة للعالم المسيو بواسيه السكرتير الدائم للاكادمية الفرنسوية وعلى مقالة اخرى للعالم المسيو كانيان

معيشة الرجال

ينهض السراة عادة من النوم باكراً عند انبثاق الفجر وينتظرون في منازلهم الاصحاب الذين يفدون لزيارتهم والتسليم عليهم · ثم يذهبون معهم الى الساحة العمومية التي تكون

(١) اي في عهد امبراطرة الرومان الاولين منذ نحو ١٨٩٠ سنة

اغاصة بالناس وفيها القضاة والخطباء . هذا هو اجمال معيشة الرجال

زينة نسائهم ونسائنا

اما نساؤهم فانهن ينهضن في ذلك الوقت ايضاً ويبدأن بالتزين والتحلي وهو عمل شاق وطويل . فان لكل سيدة رومانية اماء يتولين الباسها ملابسها وتزيين وجهها . فواحدة لتنظيف جواهرها او ملابسها وواحدة لاعداد دهانها وروائحها . وثالثة لصنع دواء يحفظ نعومة البشرة وبياضها . ورابعة لترتيب شعرها وذلك برفعه طبقات للزي الذي كان قد ابتدأ في ذلك الزمان . واخرى لمزج شعرها بشعر مستعار اشقر جميل لما يكون شعرها قصيراً غير كافٍ . وكانت لهذه الشعور تجارة مخصوصة اذ كان يؤتى بها من جرمانيا وتباع في سوق مخصوصة قرب هيكل هرقل في رومه . وكانت السيدة تتبع حركات نسائها وهي امام المرآة تنظر اعمالهن فاذا اخطأت احداهن زجرتها ووبختها واحياناً تناولت دبوساً ووخزتها به في يدها عقاباً على اهمالها او جهلها . وقد روي ان سيدة كبيرة في عهد الامبراطور « ادريين » ضربت احدى نسائها وهي تزينها ضرباً مبرحاً لانها اخطأت فنفاها الامبراطور من رومه ست سنوات جزاء اعتدائها . اما السيدة « تيوفين » التي ننقل هنا خبرها ونصف معيشتها فانها اكثر ادباً ولذلك فانها كانت تكتفي بتوبيخ نسائها عند الاهمال توبيخاً لطيفاً . فانت ترى فيما مرّ ان نساء رومه في ذلك الزمان لم يكنّ اكثر عقلاً ولا اشد اعتدالاً فيما يختص بالزينة من نسائنا . وكيف تريد ان يكن كذلك . فهل العالم يمشي الى امام ام الى وراء . اليس يجب ان يكون نساؤنا اكثر عقلاً واشد اعتدالاً منهن حتى يقال اننا نتقدم لا نتأخر

المتنزهات وهياكل العبادة

غير ان « تيوفين » مع ادبها واعتدالها كانت في صباح هذا اليوم مستاءة ضجرة ذلك لانه قد حان وقت النزهة ولم تفرغ نساؤها من تزيينها بعد . وقد تعجب من قولنا ان نزهة النساء الرومانيات كانت في الصباح عند اشراق الشمس ولكن يزول عجبك متى علمت ان للنهار الروماني حداً وهو غياب الشمس . فمتى غابت الشمس سكنت حركات المدينة العظيمة ومن اجل هذا فالتي لا تخرج للنزهة في الصباح فانها قد لا تجد في باقي ساعات النهار ساعة للتنزه والانبساط

ولكن نساء تيوفين ما لبثن ان رفعن ايديهن عنها متنهدات تنهد الفراغ من عملهن ومبتسمات لها ابتسام الاعجاب بجمالها الفتان . فقامت تيوفين مسرعة الى هودجها . وكانت

لها قامة مستقيمة كأنها الرمح في اعتداله وارتفاعه ووجه روماني صبوح من تلك الوجوه العظيمة التي جمعت بين قوة الرجال ورقة النساء . فركبت تيوفين هودجها وحولها نساؤها يحادثنها ويثنين على جمالها فحمل هذا الهودج ستة او ثمانية من الارقاء الاقوياء وساروا بسيداتهم الى حيث تجتمع كرائم سيدات رومه

ولم يكن في رومه حدائق عمومية للنزهة كما في عواصم العالم اليوم ولكنه كان فيها شوارع واسعة محفوفة على جوانبها بالاشجار الظليلة الجميلة المصفوفة امام ممرات وممماش منقوشة منمقة وقائمة في ساحة « مارس » على اعمدة رخامية جميلة وفيها كثير من التماثيل البديعة التي اخذتها رومه عن اليونان . ففي هذا المكان كان يجتمع المتنزهون والمتنزهات

وكان للمتنزهين والمتنزهات منتزه ثانٍ وهو هياكل الآلهة . فان النساء كن يذهبن اليها للعبادة والتنزه معاً لان هذه الهياكل كانت ملتقى عاماً . ولكن الهياكل التي كانوا يقصدونها بالاخص هي هياكل الآلهة التي اخذها الرومان عن اليونان لان الحفلات في الهياكل الرومانية كانت خالية من الرونق الذي كان لحفلات الالهة اليونانية . وكانوا يفضلون هيكل ايزيس التي هي ممثلة الشمس فيحتفلون فيه كل يوم حفلتين واحدة في الصباح حين شروق الشمس للتسليم عليها وواحدة في المساء حين غروب الشمس لتوديعها وطلب حمايتها

ومن جملة الامور التي كانت تجعل النساء يفضلن هذا الهيكل على سواه ان كثيرات من النساء كن يقصدنه منبوشات الشعور مكشوفات الصدور ليطلبن بالحاح من « ايزيس امهن المقدسة » ان تتحنن عليهن وتنظر اليهن . وغيرهن يحسبن انهن اخطأن اليها فيأتين ليستغفرنها وهناك يقفن امام تمثالها ويعترفن جهراً بصوت قوي بكل ما صنعنه من الخطايا والذنوب . فلا بدع ان يكون هذا المكان مقصوداً

وكانوا يتخذون العبادة وسيلة للتنزه ايضاً خارج المدينة في « لانوفيوم » و « نيميا » حيث يوجد هيكلان واحد « لجونون » (امراة جوبيتير) والثاني « لديانا » الاهة الاحراش . ومما كان يزيد نساء السراة رغبة في الذهاب الى هذين الهيكلين انهن كنّ يستطعن النزهة على طريقها بالمركبات لان النظام المعروف بنظام « جوليا » قد قضى بمنع المركبات من الجري في اسواق رومه منذ بزوغ الشمس ذلك لان ازقة رومه وشوارعها ضيقة فالمركبات تعيق السير فيها في النهار . وكان الزائرات يقصدن هيكل لانوفيوم للتفرج بمشاهدة افعى مقدسة تشهد للعذارى بالطهر والبكورية اذا كنّ ابكاراً طاهرات

ويقصدن نيميا لان النزهة عند تلك البحيرة في مركبة تجرها جياد الخيل مما ترتاح النفوس اليه فضلاً عن ان كل واحدة من المتنزهات بازاء الحرش هناك كانت تنتظر في تنزهها ان ترى امرًا غريبًا لم تسمع بمثله الاذان

طريقة عبادة ديانا وذبحها

وهذا الامر الغريب نصفه في ما يلي

ان الهيكل الذي كان مخصصًا بديانا الاهة الاحراش كان قائمًا قرب راس بحيرة نيميا الشمالي . وهو مبني على سطح صخري منحوت من صخر عظيم وطوله ٣٠ مترًا . وكان محاطًا بالحرش من كل الجهات وفي هذا الحرش يقيم كاهن الهيكل العظيم . اما الامر الغريب فهو انتخاب هذا الكاهن . وطريقة هذا الانتخاب الحرب والقتال . فان كل رجل بل كل شقي او لص كان يجوز له الدخول الى هذا الحرش بسلاحه ومتى دخل اليه وجب على الكاهن ان يتناول سيفه وينازله فاذا قتله الكاهن امن شره واذا قتل الرجل الداخل الكاهن كان ذلك دليلاً على ان الاهة ديانا غاضبة على كاهنها ولذلك اختارت رجلاً آخر مكانه وجعلته بعد تمكينه منه كاهنًا مكانه . ومن اجل هذا كانت الزائرات المتنزهات على طريق بحيرة نيميا يطيب لهن النظر الى الحرش ليرين اذا كان قد دخل احد اليه لينازع كاهن ديانا الرئاسة

والآن فلنصف ذبيحة من ذبائح ديانا : فندخل اولاً في الليل الى الحرش فنجد فيه الكاهن العظيم جالسًا لا يعرف النوم جفنيه خوفًا من رجل يفاجئه وكان مصغيًا الى كل حركة وكل صوت في الحرش وهو ينتفض رهبة وذعرًا لاقل الاصوات . وبازائه سيفه الذي كان لا يفارقه لا في الليل ولا في النهار . اما هيكل ديانا فقد كان يسود فيه في ذلك الوقت سكون عميق

ولكن النهار اخذ يرسل رسل الفجر والقمر الذي هو صورة ديانا الجميلة ينثر امواجه الفضية على الحرش وعلى طريق رومه التي تسير عليها الزائرات في مثل تلك الساعة قاصدات عبادة الالاهة . ولما وصلت هؤلاء الزائرات الى الهيكل في سكون الليل تفرقن حوله لاعبات متداعبات واخذ بعضهن يستحم في ساقية من الماء جارية ليتطهرن قبل دخول الهيكل وبعضهن انتشر في حوانيت موجودة هناك لشراء التقدمات التي يجب ان يقدمنها الى الالاهة . وكان يوجد انواع كثيرة من هذه التقدمات فمن اكاليل زهر لتزيين المذبح والهيكل ومن تماثيل على صور الالهة مصنوعة من برونز وشمع وفخار . وما عدا ذلك فقد كان

يوجد رسوم على صور الاعضاء البشرية من رأس ويد وقدم وساق وبطن وما اشبه فالذي يشكو من الم راسه يبتاع راساً ويقدمه لديانا فتشفيه والذي يشكو من داء في يده يبتاع يداً يقدمها لها مستشفياً وهلم جرّا

وظل النساء متفرقات حتى برز جبين الغزالة فما كللت اشعتها الاولى قمة الهيكل حتى دنا رفيقان من اعلى السلم المؤدية اليه واخذا يبوقان ببوقين . فانفتحت عند ذلك ابواب الهيكل وخرج منها الموكب الكهنوتي يتقدمه صبيان يلبسون ملابس بيضاء وكانوا يسمونهم « كاميل » وهم يحملون بايديهم الخبز والملح وآلات الذبيحة . اما الرجال الذين كانوا وراءهم فهم الكاهن العظيم وحوله حاشيته وكلهم مرتدون بالملابس الدينية وفي مقدمتهم اربعة رجال اكبر سناً منهم يحملون على اكتافهم محملاً صغيرًا عليه تمثال ديانا المقدس وهو من الخشب ويقال انه قديم وقد صُنع في زمن بناء ذلك الهيكل . وكان هذا التمثال عظيم الجاه لدى الشعب ولذلك كان الكهان يحفظونه مخبوءا ولا يبرزونه له الا مرة في السنة . وكانت ديانا في هذا التمثال تلبس الى ركبتيها لباساً فاخرًا جميلاً وعلى راسها قبعة صغيرة وفي يدها قوس فضية موتره تكاد تنطلق نبلتها وهي لمسير الكهان ترتجف في يد ديانا ارتجافاً يجعل لها تاثيرًا شديدًا

فما وقعت ابصار الشعب المجتمع على هذا التمثال حتى ضج وارتفعت طلباته من كل صوب هاتفاً

» ياديانا القانصة . ياحارسة الجبال والاحراش . يا صاحبة القوس الفضية والنبال التي تقتل الآيال السريعة والفهود الضارية . احرسينا »

فدنا عند ذلك الكاهن العظيم متشحاً بالالبسة الفاخرة المذهبة من المذبح وكانت عليه نار تتقد فاخذ شيئاً من البخور والقاه فيها ثم رفع كاساً مملوءة من الخمر وصبّ منها بضع نقط على هذه النار . ثم التفت صوب الهيكل ورفع يديه الى السماء مقدماً العبادة . ثم طلب كتاباً يحتوي التقاليد الدينية المكتوبة بلغة لا يفهمها احد من الشعب واخذ يقرأها جهرًا . وكان بازائه اثنان من الموسيقيين ينفخان بالشبابة انغاماً تنطبق على ترنم الكاهن وتخفي اصوات الشعب اذا خطر لاحد ان يتكلم مخافة ان يُساء الى العبادة . وكان الشعب في ختام كل عبارة يردد منشدًا مقاطعها الاخيرة بعد الكاهن والموسيقيين .

وبعد ذلك جاؤا بالحيوان المعين للذبيحة وهو بقرة في جبهتها علامة بيضاء تقرب من الهلال . وكانوا لا يذبحون للالاهات الا الحيوانات الانثى كما انهم لا يذبحون للالهة

الذكور الا حيوانات من الذكور . وكانت البقرة مزينة يقودها رجل في يده فأس وسكين لذبحها بها . وكانت تتبعه مطيعة فيقولون ان الالاهة ديانا تخضعها وتلين مراسها

فدنا الكاهن عند ذلك منها واخذ سكيناً ليجزّ من شعرها و يلقيه في النار قبل ذبحها حسب العادة فجزّ الجزة الاولى والقاها في النار ولكن ما مس الشعر النار حتى خمدت النار في الحال . فتراجع الكاهن الى الوراء وضج الشعب مدهوشاً واخذ يقول ان ديانا ساخطة على كاهنها ولذلك لم تقبل تقدمته

تعيين الكاهن بالقتل

وما كاد الكاهن يتراجع الى الوراء حتى علت في الحرش صيحة عظيمة . فدبّ الرعب في صدور الحاضرين و رفع الكاهن راسه وتناول سيفه في الحال لانه علم ان رجلاً يطلب منازعته الرئاسة قد دخل الى الحرش . فهرع رجاله الى نزع ملابسه الذهبية . ولما فرغوا من ذلك وثب الكاهن من الهيكل قياماً بالغرض المحتوم وفي يده سيفه واندفع يطلب خصمه

فحدث حينئذ بين الشعب سكوت عميق . سكوت كانت فيه الانفاس مقطوعة اصغاء لما سيحدث في الحرش . وكان يصل الى الاذان من حين الى حين صوت تقارع السيفين وصراخ الخصمين فتعرو القشعريرة النفوس و يزداد الشعب رغبة في معرفة النتيجة

وكانت كل المصليات في الهيكل مضطربات تشرئب اعناقهن لمعرفة ما يحدث في الحرش حتى السيدة تيوفين نفسها . وكانت سحنهن منقبضة وايديهن ممدودة الى السماء وافواههن ضارعة . ولم يكن في الهيكل من ساكن هادئ غير تمثال ديانا التي كانت كانها مرتاحة الى ذلك المنظر الغريب

ولكن ما انقضت على ذلك مدة من الزمن حتى علت صيحة هائلة من جهة الحرش في ذلك السكون فهلعت لها قلوب النساء واغمي على تيوفين لرقة قلبها وخوفها على الكاهن المسكين ثم بعد انقضاء برهة وجيزة ظهرت فوق المذبح جثة انسان ممدودة وملفوفة بغطاء قاتم يحملها رجلان فوضعاها امام تمثال ديانا وتلاها رجل عظيم الهامة يحمل بيده سيفاً تخضباً بالدم فوقف امام الجمع وقال « ان كاهن ديانا قد راح وقد اختارتني ديانا لاكون كاهناً مكانه » وكان هذا الرجل هو قاتل الكاهن التعيس

فضج الجمع حينئذٍ بالترنيم الديني الذي يقال في هذا المقام وهذا نصه « ياديانا الهائلة .

انت التي تحبين الذبائح الدموية . يا أرتميس ملكة توريد . ارحمينا . احفظينا »

الملاهي الاخرى

تلك كانت احدى ملاهي الرومانيات . ومن هذه الملاهي ايضاً التمثيل والمصارعات البشرية والحيوانية وسباق الخيل والمركبات . وقد كثرت هذه الملاهي في عهد اغسطس اولاً لان هذا الامبراطور كان يُلهي الشعب بها عن حريته المفقودة وثانياً لان الشعب قلَّ اهتمامه بالمسائل السياسية لقبض رجل واحد عليها فاصبح اكثر اشتغالاً بالملاهي عنها . وقد كانت النساء قبل اغسطس يحضرن تمثيل الروايات في صحن القاعة مع الرجال فلما جاء اغسطس اراد ان يصلح كل شيء حتى الملاعب فجعل لهن « الواجاً » خصوصية في اعلى الملعب يرين منها دون ان يراهن احد . ولم ياذن لهن في الجلوس مع الرجال الا في مراسح المصارعة اذ ليس في الامكان صنع الواج لهن فيها . وكانت النساء شديدات الولع بحضور المصارعة البشرية والحيوانية الى حد اصبحن عنده لا يطقن الانقطاع عنها حتى انه لما سافرت احداهن الى مصر لتلحق برجل احبته لم يعجب نساء رومة من انها تركت زوجها واولادها لتلحق بعشيقها ولكنهن عجبن من انها استطاعت ترك لعب المصارعة . فتأمل

الشبان المخنثون

وفوق هذه الملاهي فقد كان للرومانيات ملاهٍ عائلية ونريد بها الاجتماعات التي كانت تنعقد في المنازل . فانه كان يوجد بين الرومانيين شبان دابهم التخنث والخلاعة وصقل الشعور وتطييب الملابس وحمل الازهار وزيارة المنازل لمحادثة النساء . وكانوا يسمون هولاء الشبان « المعلمين الصغار » . سلهم تجدهم عالمين بكل الامور . فانهم يعرفون من يحب فلانة ومن تحب فلاناً ويحفظون كل حوادث الخطبة والزواج والطلاق ويعرفون اسراراً كثيرة يهمسون بها في اذان النساء . ولذلك كانت النساء شديدات الميل اليهم واذا خلا مجلسهن من واحد منهم فانه يكون مجلساً بارداً (١)

المراة والاولاد في الهيئة الرومانية

وكانت المراة في ذلك الزمان سيدة العائلة وهذا يقضي بالعجب العجاب . فمتى حضرت اصبح الرجال ولا همَّ لهم غير خدمتها وارضائها فكانت مقدمة عليهم جميعاً . وكان بعضهن بالغاً من الادب مبلغاً يمكنهن من المقارنة بين هوميروس شاعر اليونان وفرجيل شاعر الرومان كما روى جوفنال . وكان العشاء اخص مجالسهم وهو يبدأ منذ الساعة الرابعة بعد

(١) كأن الكلام هنا مسوق الى الهيئة الاجتماعية في هذا الزمان

الظهر ساعة يكون دولاب الاشغال قد وقف والجميع عادوا من الحمامات التي كانوا يستحمون فيها و يلعبون الالعاب الرياضية المختلفة . وكانوا ينهضون عن العشاء عادة عند هبوط الظلام ولا يوغلون في الليل لان الطرق كانت غير امينة فكم قد ذهبت فيها في الظلام الدامس دماء هدرًا . غير ان اغسطس كان قد عين حراسًا للمدينة في الليل ليقبضوا على اللصوص ويخمدوا النار حين اضطرامها في المنازل والحوانيت فبات الناس في امن من كل شر

وكانوا اولاً ينقشون على قبر المراة الرومانية هذه الكلمات " كانت تقيم في بيتها على غزل الصوف " كناية عن حشمة النساء واجتهادهن . ولكن ما اتى اغسطس حتى صار الرومانيات يهملن هذه الشؤون . فخطر لاغسطس ان يعلن انه لا يلبس الا من الصوف الذي تغزله امراته وكان غرضه من ذلك تحبيب العمل البيتي اليهن وتنفيرهن من الاعمال العمومية التي اخذن يهتمن بها . ولكن سعي اغسطس ذهب عبثًا

اما الاولاد في رومة فكان يربيهم الخدمة والخادمات . ومتى ولد الطفل قُدم لابيه فاذا عرف انه منه وضعه على الارض وابقاه في منزله وان لم يعرف انه منه او لم يرد ان يعرف ذلك لكثرة الاولاد في منزله وعجزه عن القيام باودهم كلهم او اذا راى فيه عضوًا مشوهًا فانه ياخذه و يلقيه على باب منزله و يقفل الباب . فاما ان هذا الطفل المسكين يموت بردًا وجوعًا واما ان يلتقطه احد المارة ليسترقه . وكان الطفل السعيد ذاك الذي لا يقع بين يدي القساة الذين كانوا يلتقطون الاولاد و يشوهون بعض اعضائهم ليربوهم و يجعلوهم يحترفون الشحاذة في كبرهم انتفاعًا بما يتصدق به الناس عليهم

فماذا كانت تقول النساء امهاتهم ؟ ما كنّ يقلن شيئًا . فاين الحنان الوالدي ؟ اين الشفقة الوالدية ؟ لا نعلم . وانما نعلم ان الامهات كن ينظرن الآباء يصنعون هذا الصنع البربري دون ان يقلن شيئًا . ولذلك استنتج بعض العلماء من هذا الامر ان شفقة الام والاب ليست طبيعية ولكنها اكتسابية تتغير بتغير احوال الزمان والمكان

فضيلة نساء رومه

واما طهارة نساء رومة فقد اختلفت الاقوال فيها . وقد قال احد المؤلفين الرومان بهذا الشان ما نصه " ليس بين الرومانيات امراة طاهرة الا التي لا يلتفت الناس اليها " فما افظع هذه الشهادة . ومما يجدر الانتباه اليه انه لا يوجد لدى الرومانيين كلمة بمعنى " الحب " الحقيقي المتعارف بين الحكماء نعني الحب الصادق الذي مقتضاه امتزاج روحين امتزاجًا

مجرداً عن تاثير المادة او سلطتها . فهم اذا قالوا في رواياتهم « يحب » فانما يعنون بذلك الفساد والفجور . وهذا الامر ينطبق على الشهادة السابقة . ومع ذلك فالتعميم ظلم للهيئة الرومانية القديمة لان كل هيئة اجتماعية تحتوي على نصيبها من الفساد والطهارة تبعاً لاختلاف الاهواء فيها بين الشدة والاعتدال فضلاً عن اختلاف التربية والعادات

الطلاق

وقد كان الطلاق شديد الانتشار في رومه حتى انه لم يكن يصدر عدد من « جرنال رومه » الا وفيه ذكر لنساء مطلقات مع ان هذا الجرنال لم يكن يذكر سوى اسماء نساء الطبقة العليا . ومما زاد الطلاق ان المراة الرومانية كانت حرة التصرف باملاكها فكانت تتخذ لها ثقاة للمناظرة عليها فكان الخصام يشتد بين زوج المراة وثقاتها الذين يديرون املاكها فيؤدي ذلك الى النزاع مع المراة ثم الى تطليقها . وفضلاً عن ذلك فان الطلاق نفسه كان يزيد الطلاق وهذا شانه في كل مكان وزمان . وسبب ذلك ان الزوجين متى وجدا انه لا سبيل لهما الا الافتراق كانا اكثر تسامحاً الواحد مع الآخر ولكنهما اذا وجدا ان الطلاق مباح فانهما لا يعمدان الى تساهل او تسامح بل يتخذان اقل خلاف او نزاع وسيلة الى الطلاق

هل هيئتهم اكثر فساداً ام اقل

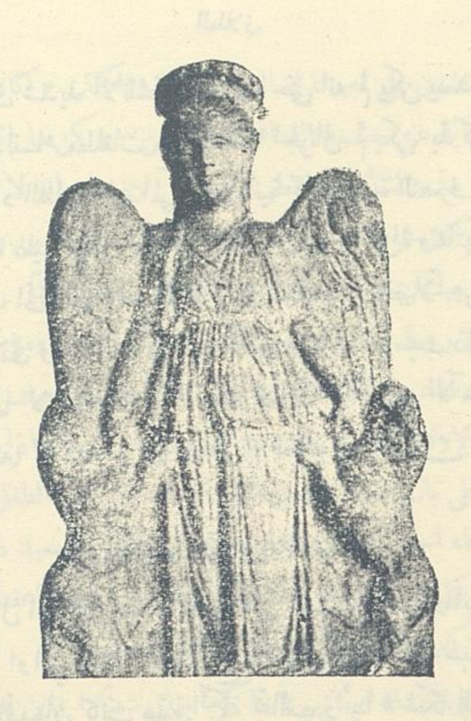
ولا بد ان يسأل القارئ بعد ما تقدم هل كانت الهيئة الرومانية اكثر فساداً من الهيئات التي عاصرتها او التي تلتها . فنجيب مع المسيو بواسيه على سبيل الاستشهاد بكلمة لسنيكا الحكيم الروماني وان كانت هذه الكلمة تخالف رأينا « شكا الناس قديماً وهم يشكون الآن وسيشكون الى الابد . وفي كل عصر ينادون بان كل شيء متضعضع متهدم . ان الرذيلة تنتصر والفضيلة تنخذل . ان الانسانية راجعة القهقرى الى الوراء . والحقيقة ان كل شيء باقٍ على حاله تقريباً واذا حدث تغيير فالتغيير يكون ضعيفاً جداً كان العالم اوقيانوس ياتي الجزر فيبعده بضع خطوات عن الشاطئ ثم ياتي المد فيعيده كما كان »

عود الى جميلة المقالة

اما تيوفين صديقتنا فلم تكن كالنساء التي مرَّ ذكرهن . فانها ربت اولادها بنفسها ولم تعرض واحداً منهم على ابواب منزلها . وعاشت عيشة طاهرة بسيطة مع زوجها واولادها فلم يدرج اسمها في « جرنال رومه » ولما ماتت — رحمها الله وعزى القارئ عن وفاتها —

كتب زوجها على قبرها هذه العبارة « كانت تقيم في منزلها على غزل الصوف ولم تسيء اليّ يوماً بغير موتها »

فليت جميع النساء في هذا العصر يقتدين بها



﴿ تمثال ديانا ﴾

وهو من الهدايا والتقدمات التي كان يقدمها عابدو ديانا استرضاءً لها . وعلى الغالب يكون بازائها رسوم حيوانات كالكلاب والخرفان وما اشبه كما ترى في الرسم . وقد وجد هذا الرسم في الاثار الرومانية

هراة نظماً ونثراً

وصفنا افغانستان في الجزء الثاني من السنة الثانية وصفاً كافياً ولكننا لم نسهب في وصف هراة التي هي من اهم مدنها ان لم نقل اهمها . والذي يجعل لهراة هذه الاهمية الخصوصية امران . الاول كونها الطريق التجارية الوحيدة للقوافل التجارية بين الهند وآسيا ولذلك كان همُّ الفرس الاستيلاء عليها في سالف الزمان . والثاني كونها ايضاً طريق جميع الفاتحين الذين قصدوا الهند من الاسكندر المكدوني فما فوق وما دون ولذلك فان اول ما تعمله روسيا اذا ارادت الاقدام على الهند هو احتلال هراة ومن اجل هذا اخذ الامير عبد الرحمن الذي لا يالو جهداً في خدمة بلاد بتحصينها وحشد الجند فيها

❊ صفة هراة ❊ وهراة هذه قاعدة اقليم هراة الافغاني وهي قائمة في وادٍ جميل يدعى وادي هرى روند على الضفة اليمنى لنهر بهذا الاسم . وهي مبنية على شكل مسطح مستطيل طولها كيلو متر ونصف وعرضها كيلو متر واحد وفيها اقنية عديدة تاتيها بالمياه من النهر المذكور آنفاً . وقد كانت هذه المدينة محاطة بسور شاهق حوله خندق عريض مملوءٌ ماءً اما الآن فقد زاد الامير تحصينها بمساعدة الضباط الانكليز حتى صارت حصناً حقيقياً . وفيها شارع كبير واسع يشقها من الشمال الشرقي الى الجنوب ولكن الشوارع الاخرى ضيقة قذرة

❊ سكانها ومعايشهم ❊ اما سكانها فعددهم ٥٠ الف نفس وهم بين افغان وفرس ونتر وهنود ويهود وارمن . واهم صناعاتهم السيوف الخراسانية والسجاد والحرير والجلد . وفي المدينة جامع كبير هدمه الفاتح جنكيزخان فاعيد بناؤُه في القرن الثالث عشر للميلاد وهو اليوم متضعضع . وفي شمالها الغربي قلعة كبيرة يسمونها قلعة شكرباغ او قلعة هراة

وقد افتتح العرب هراة في حوالى سنة ٦٥٠ للميلاد فبلغت في عهد الاسلام من الاهمية والحضارة مبلغاً عظيماً كما ترى في القصيدة التالية التي نظمها الامام بهاء الدين العاملي المشهور

وهذا نصها باختصار

مقدمة

يقول راجي العفو يوم الدين المذنب الجاني بهاء الدين
تجاوز الرحمن عن ذنوبه واسبل الستر على عيوبه
بليتُ في قزوين وقتاً برمد مقرحٍ للقلب من فرط الكمد
يمنع من صرف النهار فيما يُرضي اللبيب الحاذق الفهيما
من بحثٍ او تلاوة او ذكر او درس اوعبادة او فكر
حتى سئمت من لزوم منزلي والنفس عن اشغالها بمعزل
ولم يكن من عادتي البطالة لانها من شيم الجهالة
فرمتُ شيئاً مشغلاً لبالي عما اقاسيه من البلبال
فلم اجد ابهى من الاشعار وليس نظم الشعر من شعاري
وكنت في فكر باي واد القي جياد الفكر في الطراد
فبينما الامر كذا اذ سألا مني بعض الاصدقاء العقلا
ان اصف الهراة في ابيات جامعة للنشر والشتات
فقلت والجفن بادمعي سخي على الخبير قد سقطت يا اخي
ثم نظمت هذه الارجوزة بديعة رائقة وجيزة
سميتها اذ كملت بالزاهرة فيها كلها مائة بيت فاخرة

في وصفها على الاجمال

ان الهراة بلدة لطيفة بديعة شائقة شريفة
خندقها متصل بالماء وسورها سامٍ الى السماء
ذات فضاء يشرحُ الصدورا ويورث النشاط والسرورا
حوت من المحاسن الجليلة والصور البديعة الجميلة
ما ليس في بقية الامصار ولم يكن في سالف الاعصار
استَ ترى في اهلها سقيما طوبى لمن كان بها مقيما
ما مثلها في الماء والهواء كلا ولا الثمار والنساء
كذلك الباعات والمدارس فما لها فيهن من مجانس

في وصف هوائها

هواؤها من الوباء جنة كانه من نفحات الجنة
فيبسط الروح وينفي الكربا ويشرح الصدر ويشفي القلبا

لا عاصف منه تمل الحرة ولا بطيء السير فرد موه
بل وسط يهب باعتدال كنغادة ترفل في اذيال
فمن رماه الدهر بالافلاس حتى عن المسكن واللباس
فلا يصاحب بلدة سواها لانه يكفيه في هواها
حبيبة واحدة في القر وشربة باردة في الحر

في وصف مائها

لو قيل ان الماء في الهراة يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيد فكم على ذلك من شهيد
تراه في الانهار جار صاف كانه لآلئ الاصداف
لا يحجب الناظر عن قراره بل يطلعنه على اسراره
تظن غور عمقه شبرين من الصفا وهو على رمحين
خفيف وزن رائق الاوصاف ما مثله ماء بلا خلاف
يهضم ما صادف من طعام كانما اكلته من عام

في وصف نسائها

نساؤها مثل الظباء النافره ذوات الحاظ مراض ساحره
من كل خود عذبة الالفاظ تقتل من تشاء بالالحاظ
اضيق من عيش اللبيب ثغرها اضعف من حال الاديب خصرها
فاتكة قد شهدت خداها بما بنا تفعله عيناها
والجسم في رقته كالماء والقلب مثل صخرة صماء

في وصف ثمارها

ثمارها في غاية اللطافة لا ضرر فيها ولا مخافة
عديمة القشور عند الجس تكاد ان تذوب حال اللمس
تخال في اغصانها الدواني اشربة الحسن بلا اواني
مع انها بهذه الكيفية رخيصة عندهم زرية
يطرحها البقال فوق الحصر حتى اذا ما جاء وقت العصر
وقد بقي شيء من الثمار يطرحه في معلف الحمار

في وصف عنبها

ولست محصياً لوصف العنب فانه قد نال اعلى الرتب

ادق من فكر اللبيب بزره ارق من قلب الغريب قشره

ابيضه في لطفه والطول يحكي بنان غادة عطبول

اصنافه كثيرة في العد ليس لها في حسنها من حد

فمنه فخري وطائفي وكشمشي ثم صاحبي

وغيرها من سائر الاقسام فوق الثمانين بلا كلام

مع هذه الاوصاف والمعاني في ارخص الاسعار والاثمان

ترى الذي ما مثله في الفقر يبتاع منه الوقر بعد الوقر

وربما يعلفه الحميرا ان لم يصادف عنده شعيرا

في وصف بطيخها

بطيخها من حسنه يحير في وصفه ذو الفطنة الخبير

جميعه حلو بغير حد احلى من اللقاء بعد الصد

مهما يقول الواصفون فيه نزر فانه بلا تمويه

يباع بالبخس القليل النزر لانه وافٍ بغير حصر

ياتي به المرء من الصحاري فلا يفي باجرة المكاري

في مدرسة المرزاء

وما بُني فيها من المدارس ليس لها في الحسن من مجانس

اشهرها مدرسة المرزاء مدرسة رفيعة البناء

رشيقة رائقة مكينة كانها في سعة مدينة

في غاية الزينة والسداد عديمة النظير في البلاد

بالذهب الاحمر قد تزخرفت كانها جنة عدن ازلفت

في صحنها نهر لطيف جاري مرصف جنباه بالاحجار

في وسطه بيت لطيف مبني كانه بعض بيوت عدنِ

من الرخام كله مبنيّ كانما صانعه حسنيّ

وكل ما يقوله النبيل في وصفها فانه قليل

في ساحة كازركاه

وبقعة تدعى بكازركاه ليس لها في حسنها مباهي

هواؤُها يحيي النفوس اذ بدا وماؤُها يجلو عن القلب الصدا
والسرو في رياضها المطبوعة كخود اذيالها مرفوعة
فيها البساتين بغير حصر يقصدها الناسُ بعيدَ العصر
من كل صنف ذكر وانثى وحرة وامة وخنثى
لا همَّ عندهم ولا نكادُ كانهم قد حوسبوا وعادوا
تراهم كالخيل في الطراد وكل شخص منهم ينادي

خاتمة التحسر من فراقها و بعد رفاقها

يا حبذا ايامنا اللواتي مضت لنا ونحن في الهراة
نسترق اللذات والافراحا ولا نملُّ الهزل والمزاحا
وعيشنا في ظلها رغيد والدهر مسعفٌ بما نريد
واهاً على العود اليها واها فما يطيب العيش في سواها
فانت يا سوالف الايام عليكِ مني اطيب السلام

النساء الهستيريات

بحث طبي شرعي

لحضرة الدكتور البارع عارف افندي نحاس

دقت الساعة العاشرة ليلاً . الجماهير مزدحمة في الملاعب والملاهي . المنازل مكتظة بالزائرين والزائرات وهم في حديث ومسامرة او بين لعب بوكر وبكره : هذه هي حالتنا الاجتماعية في كل ليلة وقد تصرَّم الشفق وخيم الغسق و برزت البلدة بانوارها البهية الاصطناعية

على اني لست اقصد هنا البحث في الاجتماع والعمران لاني لست من فرسان هذا الميدان بل قد جعلت ذلك توطئة لكلام اريد سرده عن كثيرات من النساء اللواتي نصادفهن في اجتماعاتنا هذه فيدهشنا ما نراه منهنَّ من الحركات والسكنات ونسمعه منهن من اللهجة والحديث والتنقل من موضوع الى آخر من غير رابطة ولا داع فنسيء الظن باخلاقهن وهنَّ براء من كل سوء ونسلقهن بالسنة حداد ظلماً وعدواناً

ذلك ان هؤُلاء النساء هستيريات . فانهن كن عصبيات المزاج شديدات التأثر ثم دخلن في طور الهستيريا وهذه علة في الجهاز العصبي تصيب اكثر النساء ولا فرق بينهن

كبيرات او صغيرات · فالمصابة بهذا الداء قد تظهر في اعين الجمهور كأن بين جوانحها روح الخلاعة والنزق وهي ليست من ذلك في شيء · وكم كنت اودُّ وصف هذه العلة وصفاً طبيعياً محضاً لولا ان ذلك لا يهم سوى الاطباء ولذلك اقتصر على الكلام فيما يختص بالاخلاق مما يكون جامعاً بين اللذة والفائدة

ونقسم الهستيريا الى قسمين اصليين · الهستيريا الصغرى والهستيريا الكبرى او الحقيقية · وللصغرى درجات متفاوتة طبقاً لحالة المزاج · فالمصابة قليلاً يصعب تمييزها عن السليمة الصحيحة ولا يُشعر بامرها الا نادراً · وهي تكون عادة خفيفة الحركة شديدة التصور والتخيل طلقة اللسان لا تخلو من ظرف في احاديثها يهيج الخاطر ويسر السامع · وقد يحدث عندها من جراء سرعة خاطرها تهوُّر في كلامها بيدَ ان حلاوة عقلها تجعل هذا التهور في نفس السامع اثراً بعد عين · وهي تميل الى البهرجة والتزين وتقتبل بثغر باسم عبارات التجلة والتكريم وبالاخص اذا كانت صادرة عن الرجال · ومع حريتها في القول والعمل تراها لا تترك العنان لنفسها فتقف حيث يدعوها الواجب والادب ولا ينقصها الا شيء من الرزانة والرصانة ·

ومن كانت اشدّ علة فاخلاقها كالسابقة وانما اشدّ اقداماً واكثر تهوراً فهي ذكية الفؤاد طيبة المعشر وان كانت تُلقي الريب والظنون بما تجريه من غير تروٍ ولا تبصر فيما يصدر عنها من الحركات والسكنات فتصبح مضغة في افواه الناس · وانما يكون قلبها في الحقيقة طاهراً ابيض كالثلج اوكالثوب الذي تلبسه اذا كانت من السيدات المولعات بلبس البياض

اما الهستيريا الكبرى او الحقيقية فهي اشد مما تقدم بكثير · بل انها خطر على صاحبتها فيجب عليها ان تتلافاها وتساعد الاطباء بما في طاقتها على مداواتها

واذ قد علمت ذلك فتعالَ الآن وادخل معي الى بيت فيه رجل وامرأة هستيرية · فانك ترى المراة نزقة خفيفة كثيرة الكلام سريعة الضجر · تصيح باولادها وبزوجها بسبب ومن غير سبب · وربما تلح من زوجها شيئاً فتحسبه خروجاً عن محبتها ودليلاً على عدم اكتراثه بها فتقيم حينئذٍ قيامة البيت على راسه وتتهمه بانه لا يحبها وبانه وبانه وبانه وحينئذٍ فعلى ايام الصفاء في تلك العائلة الف سلام

هذا مثال امرأة في دور الهستيريا فان سبباً طفيفاً يؤثر في عواطفها تاثيراً سيئاً فيضرم نار النزاع والخلاف في العائلة ويؤدي بها الى سوء المصير وقد يتجاوز هذا الضرر الى

ما وراء العائلة وذلك متى كانت الهستيريا بالغة مبلغها من الشدة والقوة والحادثة التالية خير دليل على ذلك وهي من الاهمية بمكان عظيم

حكى الدكتور برواردل الشهير انه حدث في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٣٢ ان ابنة الجنرال رئيس المدرسة الحربية في سامور بفرنسا كانت ذات ليلة في بيت ابيها مستغرقة في نومها واذا بها سمعت ضوضاء في غرفتها فقامت مذعورة فرأت على ضوء القمر يداً مدّت وحطمت زجاج نافذتها ثم رفعت اليد الحواجز ودخل رجل اليها فهبت مسرعة كالبرق الخاطف فنزلت من عن سريرها واخذت كرسياً وجعلته حاجزاً بينها و بينه دفاعاً عن نفسها ثم تاملت بالرجل فاذا هو متوسط القامة متزي بزي ضابط من تلامذة مدرسة ابيها · فدنا منها وهو يتميز غيظاً وغضباً قائلاً لها : هذه ساعة الانتقام منك · ثم دفع بقدمه الكرسي الذي جعلته حاجزاً وهجم كالذئب الضاري فامسكها من ذراعيها ودفعها الى الارض بعنف ثم مزق قميصها وشد وثاقها بحبل واخذ في ضربها ضرباً مبرحاً وصار يعضها باسنانه و يرفسها برجله وهو يردد كالمجنون : اني انتقم منكِ · من يوم عرفتك شعرتُ من نفسي بميل الى ايذائك : ثم تناول مدية وطعنها ثلاث طعنات في ساقها فصرخت باعلى صوتها من شدة الالم ففر الضابط وتركها على الثرى كجثة بلا روح وهي تأنُّ من الالم والرعب · وكانت معلمتها راقدة في الغرفة المجاورة لغرفتها فانتبهت على صوت ابنتها فاسرعت اليها فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت بها وهي تشير الى النافذة المفتوحة : من هنا قد خرج · انظر به هناك · ها هو واقف على الجسر الذي امامنا · انظري كيف يحملق فينا

وكانت المعلمة تجهد نفسها لترى الرجل فلا ترى شيئاً ولكن ذلك لم يمنع من اجراء تحقيق صارم في اليوم الثاني فوقعت التهمة على ضابط في المدرسة يشبه الضابط المعتدي لا سيما وانه كان في تلك الليلة غائباً عن المدرسة وقد اضطرب حينما سالوه اين صرفت ليلتك · فحوكم لدى مجلس حربي وبالرغم عن بلاغة محاميه حكم المجلس عليه بالسجن عشر سنوات

ولكن هل تعلمون الحقيقة في هذه المسالة ? الحقيقة ان هذا الضابط بريء وابنة الجنرال كانت مصابة بالهستيريا الشديدة وكل ما رأته من الاعتداء عليها كان وهماً في وهم لا اثر له في الحقيقة · وقد قالت انها طُعنت بسكين في ساقها ثلاث طعنات · ولكن ذلك لم يمنعها من حضور مرقص بعد ثلاثة ايام وقد رقصت فيه الى الصباح

وشكت هذه الفتاة نفسها مرة اخرى من رجل هجم عليها وهي مارة في مركبتها على

قارعة الطريق في مكان سمته فسئل الحوذي عن ذلك فانكر انه راى شيئاً

وكانوا يومئذٍ يخطئون في المحاكم الى هذا الحد لان الطب الشرعي كان مهملاً اما اليوم فان هذا الطب اصبح فرعاً عظيماً من فروع القضاء ومتى كانت القضية بين نساء او بين رجل وامراة انصرف القضاة قبل كل شيء الى البحث عن اخلاق المراة لان الهستيريا قد تكون سبباً في كثير من البلايا والتهم

من ذلك ما حدث في باريز في العام الماضي . فان الكاتبة الشهيرة الكونتس مارسل التي يلقبونها « مدام جيب » قصدت في ذات يوم ادارة الشرطة مضطربة منبوشة الشعر مجروحة اليد وقصت عليهم ما ياتي : كنت سائرة في مركبتي فدعاني اثنان الى مقابلة صديق فتبعتهما فهجم عليّ احدهما وغطى راسي بسرعة وقذفني الثاني في مركبة واقفة ثم سارا بي سيراً حثيثاً الى قصر في ضاحية باريز فوضعاني في الغرفة واقفلاها واعدين بان يعودا قريباً . ففتحت النافذة فوجدت الارض قريبة مني فاخذت اغطية الفراش ووصلتها بعضها ببعض ثم تدليت عليها فلم تصل الاغطية الى الارض فالقيت بنفسي فانجرحت يدي ولكني لم اعبأ بالجرح بسبب الخوف ثم اخذت اركض حتى وصلت الى هنا

فقامت قيامة الباريزيين لهذا الاختطاف ولكن البوليس اعياه الجهد لمعرفة ذلك القصر الذي وصفته الكونتس مارسل فلم يستطع ذلك لانه لا يوجد في الجهة التي ذكرتها قصر بتلك الصفة فاستنتجوا ان الكونتس هستيرية وان ما راته كان اضغاث احلام واوهاماً في اوهام

والنساء الهستيريات منهن من يُصبن بنوبات ومنهن من لا يصبن بنوبات . وهنا اكثر في الغرب منهن في الشرق لان الملاهي والمدنية الغربية تثير نفوس النساء اكثر مما تثيرها ملاهينا ومدنيتنا . ومع ذلك فان الهستيريات كثيرات في بلادنا ولا سيما اللواتي ينبعثن في المعيشة الغربية ويكثرن من السهر واللعب بالورق وانتياب الملاهي والسهرات في كل ليلة . واللواتي يستسلمن الى الخفة والنزق غير شاكمات نفوسهن بشكيمة الادب والحشمة والاعتدال في كل شيء . فهؤلاء يجب مداواتهن خدمة للعائلة الشرقية

ومداواتهن تكون بتسكين الافكار الثائرة وعدم التعرض للمهيجات حزناً كانت او فرحاً والامتناع من السهر والتعب واستنشاق الهواء النقي والرياضة والمشي في كل يوم والاعتدال في الماكل والمشرب وكبح جماح النفس كلما خطر لها النزق والطيش والخفة . وفضلاً عن ذلك فانه يجب حسن معاملة المريضة وتسكين افكارها وعدم ازعاجها في شيء وصرف خاطرها

عن حالتها بامور تنفعها . فان الهستيريا مرض من اشد الامراض انتياباً للنساء ومتى اصيبت المرأة بها فربما فقدت راحتها و بذلك تفقد العائلة راحتها والزوج هناءه والاولاد ملاكهم اللطيف ذو الخلق اللطيف . فالعمل اذاً لمقاومة الهستيريا وتعليم النساء طرق اجتنابها والشفاء منها عمل لصحة النسل وهناء العائلة وادب الهيئة الاجتماعية و راحة النساء اللواتي حسبهن ما لديهن من العناء

دفاع بلافنا

من كتاب صدر حديثاً بقلم حضرة الفاضل عظم زاده حقي

رأينا ان ننقل للقراء فصلاً من اهم فصول هذا الكتاب الذي صدر اخيراً وقرظناه في باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء . وقد اخترنا لهم الفصل الاخير الذي فيه تسليم الغازي عثمان باشا لانه اهم فصوله . وقبل ذلك نأتي على توطئة ماخوذة من الكتاب لتكون تمهيداً للفصل الذي سننقله

كانت اسباب الحرب طلب روسيا واوربا تحرير بلغاريا طبقاً لبروتوكول لندرا واباء الدولة العلية ذلك . وقد جرى اعلانها في يوم ٢٤ افريل سنة ١٨٧٧ واحتل الجيش الروسي زيشتوفا باجتيازه نهر الدانوب (الطونه) في ٢٧ يونيو

وكانت مجموع القوى العثمانية ستة فيالق مؤلفة من مائتين وعشر اورط بيادة واربعة وخمسين بلوكاً سوارياً وخمسة وثلاثين بطارية مدافع وعدد نفوس كل اورطة من البيادة بين الستمائة والثمانمائة رجل وعدد جنود بلوك السواري بين السبعين والمائة فارساً . وكان لكل بطارية ستة مدافع وثلاث عربات . والقيادة العامة بيد السردار عبد الكريم باشا واحمد ايوب باشا . وكان عثمان باشا الذي هو بطل هذه الواقعة قائداً لفيلق فيدين المؤلف من ٤٤ اورطة بيادة وستة بلوكات سواري وعشر بطاريات مدافع سهلية . وهو واقف على المراكز الواقعة بين مصب نهر (ايسكير) وتخوم الصرب للمحافظة عليها . واما الجنود الروسية فكانت مؤلفة من اربعة فيالق عددها ٣٥٠ الف محارب ومعها الف مدفع . وهي بقيادة الغراندوق نقولا اخي القيصر اسكندر الثاني

ولما عبر الروس نهر الطونا و زحفوا قاصدين عاصمة البلغار سيروا طلائعهم الى كل الجهات فدخلت واحدة منها الى « بلفنا » في ٨ يوليو من ذلك العام فانسحبت الحامية العثمانية

منها · فلما درى بذلك عثمان باشا غضب وارسل في الحال فرقة عاطف باشا لاحتلالها من جديد · وكانت قد وردته الاوامر بقصد الروس ومقاتلتهم لمنعهم من التقدم

وقد اختار الروس طريق بلفنا لزحف الجيش لعدة اسباب منها خصب هذه الطريق وسهولة الحصول على لوازم الجيش فيها فضلاً عن سهولة مسالكها الى صوفيا

ثم ان الغازي بعد ارساله فرقة عاطف باشا الى بلفنا سار اليها في اثره · وهنا بدأت الصفحات المجيدة التي ضمها هذا القائد المغوار الى تاريخ جندية الدولة العثمانيـة مما يحق للدولة الافتخار به في كل آن

فان الروس وعددهم اضعاف عدد جنوده هاجموه مراراً فلم ينالوا منه منالاً ولا سيما في المعركة الثانية التي ردهم فيها على اعقابهم بعد ايقانهم بانهم فازوا فيها عليه · وكان انتصاره عليهم في هذه المعركة انتصاراً دوى صداه في اوربا كلها · فبعث جلالة السلطان يهنئه بانتصاره في كتاب افتتحـه جلالته بقوله « لقد اعليت شان العثمانيين بجهادك الجديد » وكفى بهذه الشهادة شهادة · وقد انعم على الغازي في هذا الكتاب بالنشان العثماني الاول

﴿ الخروج ﴾

ولكن كان قد كتب لبلفنا السقوط لانها لم تكن محصنة قبل الحرب فضلاً عن نفود المؤن والذخائر · فبعد المعركة الاولى والثانية ومناوشات كثيرة طالت مدة اسابيع وقد ابلى فيها كل من الجيش العثماني والروسي بلاء حسناً رأى الغازي صعوبة بقائه في بلفنا لنفاد زاده فعقد النية على الخروج واختراق صفوف الروس · وهو عزم لا يقدم عليه الا من كان بشجاعة الغازي وعلو نفسه · فرتب جنوده وقسمهم قسمين زحف باحدهما وانشأ (كوبريا) من العربات على نهر فيد قرب الكوبري القديم ثم سار بسكون تام والجنود يمشون مشياً سريعاً وحرابهم في بنادقهم · وكان الغازي في مقدمتهم شاهراً سيفه وممتطياً جواده ومدافع الروس تنطلق عليهم من وراء الاستحكامات كالمطر المنهمر

وما زالوا سائرين هكذا تحت النيران حتى وصلوا امام المتاريس فوثبوا عليها وثبة الاسود فاحتلوا نقطة الاي سيبيريا وحينئذٍ التحم القتال بالسلاح الابيض وجهاً لوجه فاستولت الجنود العثمانية على ستة مدافع من المدافع المنصوبة بين الخط الاول والخط الثاني من الحصار

ففرح الجند العثماني لدى معرفته بانه اخترق الصف الاول من الحصار ووثبوا على الخط الثاني للاستيلاء عليه ايضاً · فقامت قيامة الروس حينئذٍ وطلبوا المدد فوردهم المدد

صريعاً وكان عظيماً فلم يقوَ الغازي ان يثبت لان جنود الروس كان عددها اضعاف عدد جنوده . وقد قال نابوليون الاول

« ان نسبة جيشين متحاربين بينهما مسافة هجوم فقط كنسبة كأس طافحة اذا زيد عليها نقطة فاضت وكذلك الجيش الذي يزاد عليه مدد فان النصر يفيض له »

واما سبب عدم ورود المدد للغازي فهو انه كان قد امر القسم الثاني من الجيش ان لا يلحق به الا بعد ساعتين ذلك لانه رأى انه لا يستطيع اختراق صفوف الروس باقل من ساعتين . وما كان يعلم انه سيخرقها بثلثي ساعة . هذا هو السبب في ابطاء المدد عليه

وبينما كان الجيشان يتراميان بالرصاص عن مسافة بعد الجند العثماني عن الروس اصيب الغازي برصاصة في فخذه اليسرى وقتل حصانه برصاصة اخرى فسقط الحصان والغازي فذعر الجيش لانه حسب ان قائده قد قتل فتقهقر بدون نظام نحو استحكاماته الاولى . والذي زاد الهرج والمرج وجود اكثر من ٣ الاف مركبة وراء جيش الغازي تقل الاولاد والنساء والعجزة الذين ارادوا الخروج من بلفنا للذهاب الى صوفيا فراراً من الروس

فلو ورد القسم الثاني مدداً للغازي قبل انجراحه فربما كانت تغيرت نتيجة المعركة ولم تأتِ الساعة السابعة الاَّ وكان الجيش قد خسر مواقعه الحصينة في الشرق والشمال واصبح محصوراً في قطعة ارض على ساحل نهر فيد لا يقدر على التحرك فيها ونيران الروس تنصب عليه من كل جانب

﴿ التسليم ﴾

وهنا نترك تتمة الكلام لمؤلف الكتاب . قال

« وبينما كانت المدافع تدوي والبنادق تفرقع اذ رؤي على الجانب الآخر من النهر المحتشدة عليه بقية جيش عثمان باشا علم ابيض فحالاً انقطعت النيران من الطرفين وبعد برهة ظهر على الكوبري ضابط عثماني ممتطياً حصانه وبيده علم ابيض . ولعدم معرفة هذا الرسول اللغة الفرنسوية اعادوه وارسلوا معه بطاقة باسم القائد العثماني مكتوب عليها هذه الكلمات :

(ياصاحب الدولة . ان الجنرال جانه تسكي يرجو دولتك ان ترسل له للمداولة من يقوم مقامك لاننا نعلم انك جريح)

فامر الجنرال جانه تسكي الجنرال ستروكوف ان يذهب مع الرسول العثماني الى

الكوبري وينتظر هناك الجواب · وكان احد شاطئي النهر مغطىً بالجنود العثمانية والاخر بالجنود الروسية · وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف الى الكوبري ومعه اركان حربه

وبعد قليل ورد من جهة الجيش العثماني توفيق باشا رئيس اركان الحرب وعلى وجهه علامات اليأس والكدر بادية وبعد ان عرف كل من الجنرال ستروكوف وتوفيق باشا وظيفة الاخر ورتبته خاطب القائد العثماني الجنرال المذكور باللغة الفرنسوية قائلاً ان عثمان باشا وجيشه يرومان التسليم ولكنه مجروح فلا يتمكن من الحضور الى هنا فيود ان يحضر الجنرال جانه تسكي لعنده ليتفاوضا في امر التسليم

فبعث الجنرال ستروكوف بهذا الخبر الى الجنرال جانه تسكي وبعد قليل من الزمن حضر هذا القائد وامر الجنرال ستروكوف بالذهاب لعند الغازي عثمان باشا فاجتاز الجنرال ستروكوف الكوبري ومر بين الجنود العثمانية الى ان وصل الى منزل صغير امامه كثيرون من الياوران والضباط واطباء الجيش العثماني وعلى سواعدهم علامة جمعية الهلال الاحمر · وهناك نزل عن حصانه ودخل ذلك المنزل فوجد ثلاثة ابواب الواحد منها مفتوح شطره وبداخله كثير من الضباط ما بين قائم على قدميه وقاعد على بعض المراتب والكراسي يتكلمون بصوت خفي جداً فسالهم باللغة الفرنسوية عن غرفة الغازي فاشار له احد الضباط بيده الى الغرفة المقابلة لغرفتهم

فدخل الجنرال الغرفة فراى الغازي عثمان باشا جالساً على منصة مستنداً الى الحائط مادّاً رجله المجروحة على صندوق خرطوش وامامه طبيبه الخاص حسيب بك يعالج جرحه والى جانبه جميع الآلات الجراحية · وكان الغازي مصفر الوجه مع سكون تام لابساً ثوباً بسيطاً من القماش الاسود متقلداً بسيف نفيس وكثيرون من القواد وقوف على اقدامهم حوله منهم الفريق عادل باشا وتوفيق باشا وعاطف باشا وحسين باشا وصادق باشا وادهم باشا وغيرهم · وامارات الكدر بادية على وجوه الكل

وبدخول الجنرال ستروكوف اخذ الغازي بالقيام من محله بعناء شديد وصافح الجنرال الموما اليه فقال له بتلهف وسرعة « ارجوك يادولة الباشا ان لا تقوم لانك جريح » وساعده على القعود فدعاه عثمان باشا للجلوس فابى هذا القائد الروسي الا ان يقف على قدميه مؤدياً بذلك الاحترام العسكري للقائد العثماني العام حسب القواعد الحربية الآمرة بتعظيم رؤساء القواد · فخاطب ستروكوف عثمان باشا باللغة الفرنسوية قائلاً ارسلني قائدي الجنرال

جانه تسكي الى هنا لاهنيء دولتكم باعمالكم الجليلة اثناء الدفاع وهجومكم الاخير وان ابلغكم بان الجنرال لا يقبل منكم الا التسليم بدون شروط

فبعد ما انتهى كلام الجنرال الروسي اطرق الغازي عثمان باشا برهة غائصاً في بحر التفكر واخذت علامات التاثر والكدر والحزن تظهر في وجهه ثم رفع راسه اخيرًا مخاطباً للدكتور حسيب بك بقوله « هذه اعمال الدنيا يوم لنا و يوم علينا »

و بعدها وجه الخطاب للجنرال ستروكوف بصوت خافت وقال انني مستعد لقبول تكليف قائدكم العام فاجابه الجنرال « ياباشا ان كل شيء مرتبط بارادة الله تعالى » وخرج من الغرفة ليبلغ قائده الروسي العام ذلك . فلما وصل الخبر الى الجنرال جانه تسكي حضر حالاً الى المعسكر العثماني ودخل غرفة عثمان باشا ورفع خوذته عن راسه تعظيماً له وصافحه بكل بشاشة ومودة قائلاً له « اهنئك ايها المارشال لان هجومك كان عملاً حربياً عظيماً . ارجو الآن ان تامر بجمع السلاح من الجنود »

و بعد ذلك قعد بجانب عثمان باشا واخذ كل من القائدين ينظر احدهم في وجه الاخر

و بعد مضي برهة وجيزة نزع عثمان باشا سيفه من وسطه وسلمه الى الجنرال جانه تسكي وامر الفريق عادل باشا بجمع كافة السلاح من الجنود التي لم ترضَ بتسليم سلاحها الا بعد مشقة زائدة ومداخلة ضباطهم مع نصائح عادل باشا ووعظ ائمة الاورط . وكان كل جندي عند ما يضع بندقيته للتسليم يرمقها بنظر التحسر و يلوي معرضاً والدموع ملء عينيه والحزن ملء فؤاده

وفي هذه الاثناء وصل الجنرال اسكوبلف ودخل غرفة عثمان باشا وسلم عليه قائلاً « انني بصفتي عسكريًا احسدك ايها الباشا على هذه الخدمة الجليلة التي قمت بهـا وخدمت وطنك بصدنا مدة ٥ اشهر في ربوع بلفنا » فاجابه الغازي « انك ايهـا الجنرال مع حداثة سنك قد كسبت من الشهرة والسمعة ما يحسدك عليه الشيوخ . وستحييك اولادي وانت متقلد رتبة فلد مارشال السامية ان لم يسمح لي الدهر بذلك »

﴿ مقابلة عثمان باشا للقيصر والغراندوق نيقولا ﴾

وفي الساعة العاشرة مساء اتكأ الغازي عثمان باشا على اكتاف ضباطه وركب مركبة يجرها اثنان من جياد الخيل قاصدًا السير الى بلفنا مارًا بين جموع الجنود الروسية التي كانت ترمقه باحترام تام . وسارت امام مركبته ووراءها كوكبتـان من فرسان الروس

كالحرس . وكان الجنرال ستروكوف ممتطياً جواده بجانب المركبة المحاطة بضباط اركان الحرب العثماني

وقد صادف الغازي الغراندوق نيقولا في منتصف الطريق بين كوبري نهر « فيد » ومدينة بلفنا فوقفت المركبة ومد الغراندوق يده وهو راكب على حصانه وصافح القائد الجريح مراراً ببشاشة تامة قائلاً له « اهنئك من صميم فؤادي على دفاع بلفنا فانك اتيت بعمل عظيم سيخلد لك ذكر الفخر في صفحات التاريخ الى الابد »

فاجابه عثمان باشا ببعض كلمات الشكر وهتفت ضباط الروس مع كافة الجنود هتاف التعظيم مراراً لبطل بلفنا العثماني وحيته رافعة خوذها عن راسها

وبعد ذلك سارت المركبة ثانياً بين صفوف الروس التي كانت ترمقه بنظر الاحترام وتؤدي له التحية العسكرية ايضاً وعند وصوله الى المدينة نزل في منزل احد سكان بلفنا البلغار بين وفي اليوم الثاني صباحاً دعي لتناول الغذاء مع القيصر اسكندر الثاني فذهب وهو متكئ على كتف طبيبه الى غرفة الطعام فاستقبله القيصر من وسط الغرفة وبعد المصافحة والتحية قال له

— ارجوك ان تقول لي ما كنت تقصد من هجومك لخرق صفوف الحصار ؟

فاجابه :

— يامولاي بصفتي عسكرياً لا اقدر على عمل سوى الهجوم على الصفوف حتى اتمكن من خرقها وبكل اسف خابت حملتي هذه ولكن الامر الذي يقلل احزاني هو تشرفي بين ايدي جلالتكم

فقال القيصر :

— انني أعترف بشجاعتك وبسالتك الفائقة الحد وان تكن هذه البسالة هي موجهة ضد جيشي

فاجابه الغازي :

— يامولاي انني لم اعمل الا العمل الواجب على كل جندي مدافع عن وطنه

وبعد تناول الطعام قال له القيصر « اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحمله في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة »

فخرج عثمان باشا من عند القيصر شاكراً له هذا الجميل وسلمه القائد « ستين » سيفه

فتقلده حالاً كما ان الميرالاي كليوتساروف قدم له غصناً من الريحان يشير به الى ان جيش بلفنا العثماني وقائده العظيم غير موجودين من الآن وصاعداً بين العثمانيين المحاربين لهم « اي صاروا احباباً لهم بقطع النظر عن العثمانيين المحاربين لهم في الجهات الاخرى »

وبعد اقامة ستة ايام في بلفنا سافر الى « خاركوف » احدى المدن الروسية على قطار خصوصي وبقي الى ان انعقد الصلح بين الدولتين

هذا ما انتهى اليه حال هذا القائد العظيم وجيشه الباسل بعد دفاع خمسة شهور ولم يكفه ما اظهره من الشجاعة الفائقة الحد في غضون هذه الحرب بل اضاف اليها من علائم الشهامة ما لم يصدر عن جيش مثله وهو انه لما راى ان لا بد من الخروج من بلفنا وخشي خطراً يحيق به من قبل العدو دفن سائر اعلامه العظيمة في قلعة بلفنا اباءً من سقوطها في ايدي العدو وتفضيلاً للموت في معترك الصدام على تسليم هاته الاعلام التي لم يعلم احد بدفنها الا من بضع سنين حيث ظهرت بطريق الصدفة اثناء عمليات الحفر

وبعد انعقاد الصلح رجع الغازي عثمان باشا الى الاستانة العلية فاستقبله اهلها استقبالاً لا يوصف وكانت الالوف من الاهالي ينتظرون وصوله

فلما وصل ارسل له جلالة مولانا السلطان الاعظم بعضاً من حاشيته ليحضر الى المابين الهمايوني فركب حالاً العربة وسار قاصداً السراي العامرة وكان اغلب الناس يسيرون بجانبه ليحظوا بتقبيل يده الكريمة والدموع ملء عيونهم قائلين « انت والدنا انت الذي اعليت شاننا » وعثمان باشا يجيبهم ببشاشة « لماذا كل هذا المدح والتعظيم فانني لم اعمل الا الواجب عليَّ »

ولما وصل الى المابين الهمايوني تشرف بمقابلة مولانا السلطان الاعظم فعانقه جلالته معانقة الاباء للاولاد وسلمه سيفاً مرصعاً بالجواهر الكريمة مكتوباً عليه « هدية الى الغازي عثمان باشا » وابلغه انه انعم عليه بلقب غازي ايضاً » انتهى بحروفه

باب التربية والتعليم

متى امتلأت المدارس فرغت السجون ولا تمتلئ المدارس الا اذا كان التعليم الزامياً

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة والاقدام من اخص وظائف المدرسة.

وجوب تعلم المرأة عملاً

نصائح فيلسوف لابنة غربية يجدر باختها الشرقية ان تتامل فيها

لم يعطِ الله الكتاب هذه السلطة العظيمة على النفوس والعقول حتى اعطاهم المقدرة على افادتها وتنبيه اشرف العواطف فيها . ومتى اردت الحكم على كاتب فحسبك ان تقرأ مقاله ثم تسأل نفسك ماذا ابقى هذا المقال فيها من الاثر . فان كان قد تركك بعد قراءته بارداً من غير تاثر ولا فائدة كما كنت قبله فاضرب بهذه الكتابة عرض الحائط وان كان قد بث الحرارة في نفسك وحرك اعماقها غارساً فيها افكاراً جديدة في منتهى السمو والفائدة كما سيفعل كاتب هذه المقالة الفيلسوف جول سيمون فبارك الكاتب والوقت الذي صرفته في مطالعة اقواله . ولا نوجه الى هذه المقالة المفيدة انظار البنات والنساء فقط بل انظار كل انسان

خذي لك زوجاً يا بنية ففي الزواج السعادة لانه السبيل الى الامومة (١) اما الحب فما هو الا نشوة ذاهبة . انتِ بحاجة الى مدافع يحميك و يذود عنك . انظري الى الرجال فان الضعيف منهم قادر على سحقك بقبضته . كذلك انت بحاجة الى رئيس مدرّب يُحسن تدريبك في هذه الحياة لان عقلك مهما كان سامياً فانه يكون دائماً بحاجة الى امر لا بد منه . وهذا الامر هو قوة الطبع . ولذلك فانه يتحطم كلما استفرغت وسعك في امر و يضعف بعد العناء . فيكون بحاجة لان يجد في غيره القوة التي ليست له

انتِ كثيرة التخيل والتصور . لذلك تعتقدين بخلود الحب . ان خلود الحنو والوداد امر ممكن اما خلود الحب فوهم لا يوجد الا في مخيلة الشعراء والقصاصين . لان الحب يذهب

---

(١) ما اجمل هذا القول وهو ان الزواج لا يجب ان يُقصد به الا جعل المراة اماً لتكثير النسل المبارك في الارض وتعمير الكون

بذهاب سببه وهو الجمال . حتى انتِ نفسك لا ترضي بان تكوني محبوبة لجمالك فقط فان هذا الاساس ضعيف واهٍ ولا يخلو من خطر على سعادة مستقبلك . بل يجب ان تعتمدي في الزواج على امتزاج الارواح واتحاد النفوس . فان محاسن النفس اسمى وأشرف من محاسن الجسد دائماً . ومما يزيد شرفها ان الوقت لا يزيدها الا نمواً وازدياداً . وانك ترين الجسد في كل الامور آلة تخدم النفس فيكفي ان لا يكون الجسد كريهاً وان يخضع للنفس وهي مع الوقت تزينه وتحسنه وتختمه بختمها الجميل . فلا تفتكري يابنية الا بها ولا تنظري الاّ اليها

واحذري يابنية الشبان وما يُبدون من الظواهر الكاذبة (١) واحترسي لئلا تصادفين من يقول عنكِ في سره " هذه عشيقتي " بينما تقولين عنه انت في سرك " هذا خطيبي وزوجي " .

واحذري يابنية ان تكترثي بالخطيب اكثر مما يجب فانه ربما يكون شاباً رديء الاخلاق يبغي التلاعب باقدس ما في هذا الوجود وهو شرف العذراء

وكوني ايضاً على حذر من كل من يظهر لك الحب فانه قد يكون مخادعاً لا يقصد غير قطع الوقت والضحك منك غير عابىء بشرفك وبصيتك

وبينما انت عذراء في زهرة العمر منهمكة باعداد نفسك لواجبات الحياة لا تنسي ان الزواج — متى تزوجتِ — يخفف مصاعب الحياة دون ان يمنع حدوثها . ثم اذكري ان عليك بعد الزواج واجبين عظيمين : الاول ارضاء زوجك . والثاني تربية اولادك احسن تربية

هذه واجباتك الخصوصية . ولكن عليك ايضاً واجبات اخرى قد تصبح من اهم الواجبات التي يجب عليك القيام بها . اني اخاطبك بلهجة الاب الحنون فعي قولي واصغي لنصائحي . يجب ان تتبصري في عواقب الامور وتعملي لاستدراك مصاعب الحياة (٢) واذا كنت لا تعدّين نفسك الا للتصدر في حفلات اللهو والزهو فانك تلحقين بنفسك ضرراً كبيراً . وحينئذٍ فانني اشفق عليك كثيراً . انك لم تخلقي لتكوني صنماً يُنصب في القاعات

(١) عبث الشبان بسذاجة البنات وفضيلتهن

(٢) لم تخلق المراة لتكون صنماً يُنصب في القاعات ولا زهرة تشتم رائحتها ولا عصفوراً يُسمع تغريده ولكن عاملاً ممدناً مهذباً مربياً في الهيئة الاجتماعية

فضلاً عن ان في وظيفة الصنم امرًا مملاً شائنًا وهو الضجر وعدم الفائدة . واعلمي انك ربة العائلة في الحقيقة وان كان زوجك يُدعى صاحبها . ذلك لان اعمالك فيها اكثر من اعماله واشد صعوبة منها . واذا صح هذا القول فانت اسمى منه قدرًا وارفع شانًا لان الفضل في العائلة كما في الدولة انما يُقاس بمقدار الواجبات واهميتها

واول شيء من واجباتك العظيمة التي لا يليق بك نسيانها هو الموت (١) نعم الموت الهائل الذي قد يضعضع اساس العائلة في بعض الاحيان . فانه قد يختطفك من بين ذويك قبل ان تتمي ما يجب عليك لاولادك من غرس اصول الادب والشرف والفضيلة في اعماق نفوسهم . وهو فكر هائل يجعلك لا تهملين تربية ابنائك دقيقة واحدة اذ تخشين في كل عام ان تؤخذي منهم دون ان يكون لهم من يقوم مقامك بينهم

وقد يكون الموت اقسى قلبًا فيختطف من بين يديك زوجك الكاتب او العامل او البحار . فما انت صانعة بعد هذا الخطب العظيم . قد قيل ان المراة تلقى من الصعوبة في القيام بشؤونها الخصوصية فوق ما يلقاه الرجل في القيام بشؤون عائلة . وهو امر حقيقي . فماذا تصنعين يوم تصبحين ارملة ويصبح على يديك الضعيفتين اولاد يُطلب منك القيام باودهم ؟

وقد تصبحين ارملة بطرق مختلفة . الاولى بموت زوجك . ثم بمرض عقلي او داء عقام يعتريه . وحينئذٍ فانك لا تخسرين عمله واسعافه فقط بل يصبح هو نفسه حملاً ثقيلاً على كاهلك الضعيف . ثم قد يمكن ان يهجرك بلا خوف من الله والناس ويتوارى عن الابصار . بل قد يمكن ان يهجرك دون ان يتوارى متسلحًا بقانون الطلاق . فماذا تصنعين حينئذٍ ؟

انك لا تفتكرين بذلك يا بنية حينما يُعمي الحب بصرك او يغلب عليك حب الانتقال من طبقتك الى طبقة اعلى منها او بالاحرى الى ما تتوهمين انه اعلى منها . فان الحاضر يحجب حينئذ المستقبل عن عينيك فيظهر لك كل شيء خالدًا حسنًا . ألا فاعلمي ان كل شيء في هذه الحياة متقلب غير ثابت . بل ان الحياة نفسها غير ثابتة كما تعلمين . وانما الثابت هو الواجب . فافتكري حين زواجك بامرين : الاول موتك والثاني موت زوجك

واعلمي ان الحياة انما هي في الحقيقة واحدة لجميع المخلوقات البشرية وان كانت مختلفة في الظاهر . وكل الناس سواء لدى الاحتياجات المادية والعقلية والادبية لانهم كلهم يفتقرون

(١) كلام يُهدى الى العائلة التي لا تفتكر بمستقبلها

اليها ويحصلونها بوسائط واحدة وهي النشاط وعلو الهمة (١) وقد يلقي ما بين البشر من الاصطلاح والاتفاق ستارًا على تلك الحقيقة الباطنية الازلية يجللها وينكرّها . ولكن فاعلمي انه حينما يُفتح كتاب الادب يبطل ذلك التباين او ينقص نقصاً عظيماً . فالملكة كالنقيرة مسئولة عن اجسام اولادها وعن نفوسهم وعقولهم . وكلتاهما تكونان بالاعمال التي تعملانها عظيمتين او حقيرتين . والمسيحية تعلمك ان هاتين المرأتين متساويتان لانهما كلتاهما فُديتا بدم اله واحد . اما الزينونيون (٢) فانهم يقولون قولاً اقل مجازًا وهو «ان العالم مرسح فسيح وكل واحد من الناس يمثل فيه الدور الذي خُص به . فالامر المهم الطريقة التي يمثل بها الدور لا الدور نفسه»

فانت يا ابنتي مع كونك ابنة عامل اعلي انك امام الله — وان جاز ان يُلفظ بعد اسمه اسمٌ آخر فامام الحكماء — مساوية لملكة ذات عرش وسلطان . بل انك افضل من الملكة وارفع شاناً اذا اظهرتِ في واجباتك من الشجاعة والفضيلة ما يفوق شجاعتها وفضيلتها . وبعد الموت لما تفرغان من واجباتكما في هذا الوجود وتُتمان كلاً كما تمثيل الدور الذي خُص بكل واحدة منكما فانكما لا تُعاملان في العالم الثاني والحياة الثانية الا بحسب اعمالكما الذاتية من خير وشر . على ان ذلك لا يمنع من ان تخضعي لها في هذه الحياة وتقومي بما اوجبته عليك لها المواثقات والاصطلاحات البشرية

ولست ايتها العزيزة بذاهب كالزينونيين الى ان اختيار الدور امر ليس بذي شان بل اقول ان اهميته بدون ريب اقل من اهمية الواجب . لان الواجب ازلي تتوقف عليه المصالح الازلية اما الدور فانه حادث وقتي وسحابة تمر . اما الزينونيون فانهم يزعمون بان الالم الذي ينالك من تمثيل ذلك الدور هو الم بالاسم فقط وانه لا شيء في الحقيقة . وبذلك يفسرون احدى مبالغاتهم بمبالغة مثلها . كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء . اما انا فانني اقول ان ذلك الالم شديد الوطأة وانه يحق لك الشكوى منه وان كان حادثاً وقتياً . ولكن الشكوى لا تُزيل البلوى . بل الاجدر بك ان تبذلي قصارى الجهد وتعملي بهدوء

(١) جميع البشر متساوون لدى الحقيقة وان كانت احوالهم مختلفة في الظاهر . وما اجهل الذين يرون للبشر مميزات غير الفضيلة

(٢) الزينونيون هم انصار الفيلسوف زينون الذي مقتضى فلسفته ان السعادة الحقيقية في الفضيلة دون سواها وان الانسان لا يجب ان يعبأ بشيء في هذا العالم

وسكوت لاصلاح شؤونك و بلوغك احسن حالة تستطيعين بلوغها . واذا كنت عاجزة او سقيمة اي اذا كنت عاجزة عن تحصيل خبزك وخبز اولادك فذلك لا يمنع من ان تكوني اختاً ومساوية لي . ولكنك اذ ذاك تكونين اختاً شديدة التعاسة . ولا اعرف لك والحالة هذه من دواء عدا الاحسان الذي انا مديون لك به سوى وضعك تحت حماية الله وكرمه . فالله وحده يعلم اسرارك وهو وحده قادر على تخفيف حملك وتقليل مصاعب حياتك

ولكنك اذا كنت عاملةً وكنت متمتعة بصحتك ومقترنة برجل اديب نشيط فلا تحسبي نفسك يابنية انك تعيسة ساقطة . فان الزعم بكون الحاجة الى العمل امراً دنيئاً زعم فاسد باطل . نعم يجوز لك الشكوى من عملك اذا كان شاقاً وطويلاً جداً ولكن العمل بحد ذاته . العمل المناسب لقوى العاملة وذوقها واستعدادها انما هو نعمة و بركة من الله (١) افتكري يابنية بالذي كان يصيبك لو حُكم عليك هذا الحكم الهائل وهو : عدم المقدرة على العمل . وليس هذا الحكم قاسياً وهائلاً لانه يمنعك من الربح فقط بل لانه يمنعك من العمل نفسه . فان كوننا ذوي قوة وعجزنا عن انفاذ هذه القوة مصاب لا يُحتمل . وانما تكون حينئذٍ تلك النفس المرتبطة بذلك الجسم العاجز القاصر كحيٍّ مرتبط بميت . والعياذ بالله ان العمل هو التحصيل . هو انفاذ القوة والتمتع بها . واذا قلنا « قوة » فانما نعني بذلك استعداداً طبيعياً . افيجوز لك ان تعتبري جري الاستعداد الطبيعي في مجراه الطبيعي امراً دنيئاً متعباً . ان البطالة في رأيي اكثر اتعاباً واشق حملاً . ولو سُئل العقلاء ايا تفضلون الافراط في العمل ام البطالة الدائمة . لفضلوا الامر الاول على الامر الثاني حفظاً لصحة اجسامهم وعقولهم وآدابهم . ولكننا لسنا الآن في مقام الغلو ولسنا نطيق الافراط في اي امر من الامور . بل اني ارى ان كل انسان يُضام من عمل فوق وسعه وطاقته يحق له ان يسعى لكشف الضيم عن نفسه وعلى الناس ان يساعدوه على ذلك . وانما اتكلم ههنا عن العمل المناسب لقوى العامل ومواهبه الطبيعية . فاقول ان هذا العمل منحة ونعمة من الله يجب علينا قبولها برضى وسرور ومن يفرّ منها فانه يفر من واجباته نفسها

وكثيراً ما يكون الانسان المتولي عملاً ما غير قادر على القيام به ولكنه قادر كل المقدرة على القيام بعمل آخر غيره . فيجب والحالة هذه فصله عن عمله الاول وتقليده العمل الثاني المنطبق على ذوقه وقواه . وكل الحكماء والفلاسفة يشتغلون الآن بحل هذه المسالة

(١) يُهدى هذا الكلام وما يليه الى كل من كان بلا عمل اي بلا فائدة . وجدير بكثيرين ان يقرأوه مراراً

اعني مسالة اعطاء كل انسان الدور الذي يقدر عليه · وقد ابان فوريه هذه المسالة ببراعة فلم يتصدَّ احد لمعارضتها · ولكن من يتولج وظيفة رئاسة الممثلين ؟ ومن يستطيع القيام باعبائها كلها ؟ وكيف يُجبرون الناس على الرضى بالادوار الصغيرة ؟ تلك هي المصاعب الثلاث التي لا تزال تعترضهم حتى الآن والتي يسكت عنها اكثر الاشتراكيين غير ان سكوتهم عنها لا يُعدُّ حلاً لها (١)

اما انصار العدالة — الذين هم ايضاً انصار الحرية ولكنهم يمتازون عن الاشتراكيين بهذا الخلق الاخير اي نصرة الحرية — فانهم يشتغلون بتعميم التعليم بين الجميع على السواء وبتسهيل وسائل العمل لافراد الامة · وبهذه الواسطة تنشط القوى من عقالها وتنهض الى المقام الحقيقي الذي خُلقت له · وهو عمل صحيح وسعي مفيد · ولكن هنا نقطة سوداء وما جئت يابنية الا لتوجيه نظرك اليها · وهذه النقطة هي الاعتقاد بكون بعض المهن والاعمال افضل من البعض الآخر وذلك بمجرد طبيعتها لا بنسبتها الى اميال صاحبها واستعداده الطبيعي · ومن اجل هذا الاعتقاد الفاسد اصبحت جميع الوسائل التي نتخذها لتسهيل سبل الارتقاء لذوي الاستعداد والمواهب آيلة لاكثار « الساقطين والساقطات » الذين هم الضربة الحقيقية واصل كل الضربات التي تئن من وقرها الهيئة الاجتماعية (٢)

---

(١) هذه هي اهم الاعتراضات على مذهب الاشتراكيين · ومعنى ذلك ان الناس اذا اقيمت المساواة التامة بينهم بقيت مع ذلك هذه المساواة ناقصة اذ لا بد من السلطة والاعمال الصغيرة · فمن يكون رئيساً للجميع · ومن هو قادر على النهوض باعباء الرئاسة العامة · ومن يرضى بان يعمل الاعمال الصغيرة بازاء الاعمال الكبيرة التي يعملها جيرانه · فالامتياز اذاً لا بد منه بين الناس تبعاً للقوى والمواهب · وانما الدواء الوحيد لازالة الضرر والفساد الحادثين في المدنية الحاضرة هو تعميم التعليم كما قال الفيلسوف بعد ذلك بسطرين ليتسنى للنفوس الكبيرة المستعدة ان تنهض بدلاً من اختناقها في الجهالة والاهمال · ومما مرَّ يتضح ان هذه المقالة الادبية المحضة تحتوي على نقط من اجل النقط الفلسفية والعمرانية

(٢) يريد بالساقطات والساقطين الطبقة الاجتماعية الصغيرة التي تود التشبه بالطبقة الكبرى دون ان تستطيع ذلك فتسقط من طبقتها ولا تقدر على بلوغ الطبقة التي فوقها · وسيرد الكلام عليها مطولاً في بعض الاعداد التالية

فانك يابنية فتاة ذكية نبيهة قادرة على تحصيل خبزك بشرف في المعامل بواسطة عملك اليدوي · ولكن صديقتك لا تميل الى الاعمال اليدوية بل الى الاعمال الادبية · ولذلك دخلت المدرسة فما مرّت عليها فيها بضع سنوات حتى نالت شهادتها واصبحت معلمة بارعة · فمهما بذلت انت من الجهد ومهما بذلت هي فلا هي تقدر على عملك ولا انت تقدرين على عملها

ولكن ماذا يحدث في بعض الاحيان ؟ يحدث ان المعلمة سيدة تلبس قبعة و يسميها الناس سيدة · فهذا البرق الخلب يخطف ابصار بعض البسيطات فيقدمن على التعلم ليصرن «سيدات» · فيصرفن اهم قسم من حياتهن في متاعب الدروس التي لا يستطعن البراعة فيها والتضلع منها ثم ينلن الشهادة بعد شق النفس وحينئذٍ يعلمن انهن خرجن عن الوظيفة التي خُلقن لها والعمل الذي هن مستعدات له فيندمن ولكن لات ساعة مندم

وانني مهما بالغت في القول لا اقدر ان اصف البون الشاسع الكائن بين عاملة مجتهدة قانعة بعيشها ومعلمة متضجرة غير راضية بعملها · اما انا فانني احسد الاولى واغبطها واما الثانية فلا اعبأ بها · فاحذري ايتها العزيزة ذلك الثوب الحريري الذي يسمونه حريرياً مع انه مشوب بالقطن · واعلمي ان سيدة فاضلة لا تُلبس احدى خادماتها ثوباً كهذا الثوب · بل ان الثوب الصوفي يكون اليق بك وبجمالك · لانه لا اقبح من منظر الزينة الكاذبة

لقد خطبتُ احياناً في بعض فتيان خرجوا من المدرسة او من المعامل لينخرطوا في سلك الجندية فكنت اقول لهم ما يلي(١) «اني اتمنى لكل واحد منكم يا ابنائي الاعزاء ان يقوم بالوظيفة التي هو اهل لها والتي يقدر على اتقانها · فاتمنى لمن كان منكم ذا معارف وعقل ان يكون قائداً · فانه يكون حينئذٍ سعيداً مساوياً لزملائه القواد وصديقاً لرجاله الذين يثقون به كل الثقة ويمشون الى النار مسرورين تحت قيادته · اما الذي لا يفهم من نظام الجندية شيئاً والذي تكون معرفته محصورة في حمل جرابه وحشو بندقيته والمشي بلا تعب وقتاً طويلاً فهذا لا اتمنى له ولا وظيفة ضابط ثانٍ · لان رجاله يقولون عنه في سرهم «هذا الضابط جاهل» نعم انهم لا يقولون ذلك في وجهه بسبب النظام العسكري ولكنه يقرأه بسهولة في عيونهم وعلى جباههم · وقد يرتكب هفوات تذهب بحياته وحياة رجاله

(١) كلام جميل يُهدى مع ما يليه الى الذين يؤثرون البطالة على ان يعملوا اعمالاً يحسبونها احط شاناً منهم

مع انه لو كان ماهرًا في وظيفته لسار بهم الى النصر سيرًا محققاً. فليطلب كل واحدمنكم يا ابنائي المقام الذي هو اهل له»

وكنت اقول لهم ايضاً « لا تمزجوا كلامي بالتعاليم الارستوقراتية التي تقضي على الانسان بان يبقى في الطبقة السفلى اذا ولد فيها وان تنحصر مقامات الشرف والسيادة في طبقة الممتازين اصحاب الجاه والثروة فانني انما اريد ان يحتل كل واحد المقام الذي هو اهل له من حيث الكفاءة الشخصية . هذا نائب او عضو من اعضاء مجلس الشيوخ له ولد حمار بليد . ومن الممكن ان يعتني به ابوه وينفق على تعليمه النفقات الطائلة لينيله الشهادة العلمية . وبعد ذلك ؟ لا شيء بعد ذلك . كان الابن قبل نيل الشهادة حمارًا اما الآن فانه اصبح حمارًا بشهادة وصار ادعى الى الهزء والسخرية . فلو كان ابوه رجلاً حازماً او لو كان الولد نفسه ذا ذوق واحساس لتعلم صناعة البناء لانه كان لا يصلح الا لها ولو فعل ذلك وكان مجتهدًا اديباً لاكتسب احترام جميع الناس واعجابهم واصبح في الوطن عضوًا نافعاً مكرماً »

اما انت يابنية فانك تقدرين بدون شهادة وبدون فحص ان تندمجي في سلك « السيدات » ولا يكلفك ذلك الا الاقتران بشخص من تلك الطبقة اي التزوج "بموسيو" ولكن هذا الامر خطر عظيم تجتازينه وتحملين متاعبه . لان هذه الطفرة من طبقة الى اخرى لا تنجح الا نادرًا جدًا . وبينما يكون الجميع يحبون بك ويمدحونك وانت بلباس العملة يصبح الجميع يهزأون بك ويمدحونك وانت بحلل السيدات . هذا واخبرك ان الف واحدة من الطافرات لا تثبت منهن الا واحدة فقط في محلها بعد هذا التغيير والانقلاب

ولكن هل تعرفين يابنية الامر الذي هو اصعب من الصعود ؟ هو النزول . وهذه المصيبة تصيب دائماً اللواتي تتطاول اعناقهن الى العلى وحب الارتقاء فيهبطن هبوطاً سريعاً و يفرح الجميع يومئذٍ بهبوطهن لانه القصاص العادل على طمعهن الذي تعدى حده

واني لا انكر وجود بعض مصائب غير اعتيادية ولكننا اذا تاملنا وامعنا النظر نرى اننا نجلب تلك المصائب بانفسنا الى انفسنا . مثال ذلك اننا نعتقد بقوة بنيتنا ومنعتها فنبدأ في زمن الشباب بالافراط والاكثار من كل شيء . وكلما اتينا نوعاً من الافراط نباهي بقوتنا ونهزأ بمن ينصحنا ويبدي لنا رأياً صحياً . ويخيل لنا حينئذٍ ان بنيتنا غير قابلة للضعف والمرض . ولكن المرض ياتينا في ذات يوم من حيث لا ندري . فنودع حينئذٍ العافية

وصفاء العيش . — اواه لو عرفت ذلك لوقيتُ نفسي وداريت صحتي . — ولكنك كنت تعرفه يا احمق جدّ المعرفة فلا تتمحل لنفسك عذرًا . انك بحثت عن حتفك بظلفك وسعيت الى شقائك على قدمك

وما قيل عن الصحة يقال عن الثروة فان اقل الاشياء يبددها تبديدًا . وقد يوجد بعض مراكز وبيوتات مالية يقولون عنها انها راسخة لا تتزعزع حال كوننا نرى في كل يوم على عدم ثباتها ادلة جديدة . على ان هذا الرسوخ الذي يعتني موءسسو الحكومات الدستورية بدعمه وتأييده والذي يعتبرونه حاجزًا ضد هجمات الديموقراطية آخذ بالتضعضع شيئًا فشيئًا. حتى ان رئيس البلاد نفسه ليس بمأمن من السقوط حين يحتدم غضب الشعب و يثور ثائره. وقد يسقط البعض من علٍ فيهوون حتى الى دركات الحضيض فيمنعهم حينئذٍ ذكرهم حياتهم الماضية من ان ينتهجوا في معيشتهم منهجًا جديدًا او ان ياتوا عملاً ما . فافتكري بذلك يابنية وتذكري انه يجب عليك هنا واجبان عظيمان يُطلب منك القيام بهما بكل شرف وشجاعة . الاول قبل السقوط ومقتضاه النصيحة والارشاد والثاني بعد السقوط ومقتضاه المعونة والاسعاف . وكثيرات من السيدات يقلن ويعتقدن ان قولهن فضيلة : « انا لا اتداخل في السياسة » ومن وراء ذلك يُشرن على ازواجهن بفعل الدنايا . ويقلن الى الى ازواجهن : « انت اسير عائلتك » كلا ثم كلا انه بصفة كونه ابن البلاد اسير بلاده ثم بصفة كونه رجلاً اسير الشرف اما العائلة فلا تاتي نوبتها الا بعد. فتاهبي يابنية لمعاركة الدهر ومحاربة الايام واعدّي نفسك لاسعاف زوجك بنصائحك وآرائك في حالتي السراء والضراء . واعلمي انه ربما اتاك يوم ترين نفسك فيه مضطرة الى ان تقولي له (١) « انك مديون لي بامرين : الخبز اليومي وشرف اسم مشترك بيننا . فان كان لا بدّ من ضياع احدهما فانا افضل خسارة الاول — وهو الحياة والتمسك بالشرف : فافعل انت فعلي » فاذا كنتِ ترين نفسك لا تستطيعين النطق بمثل هذا الكلام الشريف وكنتِ توجسين من نفسك ضعفًا فانصحك ان تجتنبي بقدر الامكان الاقتران برجل يتعاطى الاعمال العمومية . وفي هذه الحال قابلي يابنية ضعفك بمقدار طمعك

وربما تقولين ان ثروتي موءسسة على صخرة الازلية لا تصل اليها الاغراض والمطامع البشرية . ثابتة وراسخة كمبادئ الملكية التي هي حصن الهيئة الاجتماعية . وليس من الضروري ان تُعدّ بالملايين لان الرجل الغني هو الذي يتاتى له القيام بحاجاته قبل نفاد

(١) النساء واشغال الرجال

ايراده . فانت هذا الرجل او بالاحرى امرأة هذا الرجل . وثروتك مضمونة تكفلها كل قوات النظام الاجتماعي . فاذا فقدت زوجك بقيت لك و تبقى لاولادك اذا فقدوك . فمركزك اذاً مضمون احسن ضمانة يمكن وجودها في هذا العالم . وقد يمكن ان تفقدي الراحة والهناء لانهما غير منوطين بالمال ولكنك لن تفقدي قط ذلك المركز الراسخ لانه بحرز عن مطامع البشر واهوائهم

ولكن يا للوهم والضلال ؟ فان الملكية العقارية نفسها ليست بمأمن من التغييرات والتقلبات . اما باقي انواع الملكية فلا اسهل من زوالها . فالرجل يقود المرأة والعائلة الى هاوية الخراب والدمار ثم يعمد الى الانتحار فراراً من العار . ولا يستلزم خرابه وافلاسه ان يصاب بمصيبة او تلم به نكبة(١) فان اساليب المعاطاة والاشغال المالية في هذا الزمان صارت تصعد في يوم واحد بفقير الى قمم الثروة والغنى وتهبط في ساعة واحدة بصاحب الملايين الى حضيض الفقر والحاجة . فان زوجك قد يفتح رسالة فيجد فيها فجأة نبأ افلاسه وخرابه . فينتحر و يقضي بين امواج الابهة والعظمة . فياتي بعد موته رجال الحكومة فينتشون منزله بكل دقة وهكذا تنهمر الديون انهمار السيل فتصابين في لحظة واحدة بالفقر المدقع بعد الغنى الواسع و بالضيق بعد السعة و بالشقاء بعد الرخاء . وتجدين نفسك في موقف حرج لانك ربة عائلة وام اطفال صغار يجب منك تحصيل خبزهم والقيام باودهم . فاين قوتك ؟ واي امل يبقى لك ؟

ان المتسوّلات فئتان . فئة تطرق المنازل والبيوت فتنتقل من باب الى آخر وتتحمل الطرد والشتائم والخشونة بصبر وهذه لا يبعد ان يُقضى عليها في الشوارع والاسواق جوعاً وبرداً . وفئة تقصد الاستدانة او تطلب الاستخدام براتبٍ قليل في العيال او في احدى المراكز الصغيرة وهذه لا يعلم احد كل العلم مقدار تعاستها ودناءتها لانها محجوبة عن الابصار . فالى اية الفئتين تقصدين حينئذ الانضمام يا ابنية

واني لا اقدر يا ابنية ان اغير الهيئة الاجتماعية كما اني لا اقدر على تغيير الانسانية . فانبهك منذ الآن لتكوني مستعدة للقيام بواجبات الحياة وللشغل والعمل اذا اقتضت الحال "٢" فاتخذي لك منذ الآن مهنة وتعلمي عملاً بالرغم عن كونك في سعة وغنى وعودي نفسك

---

(١) كلام يُهدى مع ما تقدمه من المقال الى البورصة ومضاربها في هذا الزمان

(٢) وجوب استعداد المراة للعمل اذا احتاجت اليه للاسباب المذكورة في هذه المقالة

على الشغل وعلى خدمة نفسك وخدمة غيرك ايضاً . وتعلمي جيداً دورك لتحسني غداً تمثيله لفائدتك وفائدة الذين يلوذون بك . واجتهدي على الاخص مهما كان مركزك باكتساب الصفات التي هي ضرورية لك والتي تدوم وتبقى لك اذا اعترى مركزك التغيير واعتوره الانقلاب . ولا تخلطي يا بنية بين الواجبات وضروب الغنج فان لكل شيء وقتاً . افتكري دائماً بالله والقي اتكالك عليه لانك بدون مساعدته ترزحين تحت اثقال الحياة . لا تصغي الى اصحاب العقول الكبيرة الذين يظنون انهم يصنعون خيراً باقتلاعهم الايمان من الصدور خصوصاً من صدور التعساء الذين ليس لهم غير ايمانهم . علمي اولادك اصول الايمان والديانة . امنحيهم هذا السلاح القوي ضد مصائب الحياة وضد شهواتهم . انظري دائماً الى نفوسهم وتفرغي لتربيتها وتقويتها وترقيتها . اوقفي حياتك لخدمتهم . تفاني في اتمام واجباتك نحو الله ونحوهم . تغذّي وغذّيهم مع اللبن بالحب وانكار الذات اذ ليس من امر قوي مثل الحب ولا امر عظيم مثل انكار الذات

صفحة الشعر

اجابةً لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفاً شعرية وشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

بعث الينا حضرة الشاعر البليغ الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي بقصيدة اودعها غزلاً ووصفاً ومديحاً في غاية الرقة والبلاغة فنشرناها مع الشكر له لان هذا الباب مفتوح لنفثات جميع الشعراء المجيدين . اما المديح فهو في حضرة الاستاذ الافضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اهداه الشاعر الى فضيلته بمناسبة اختياره رئيساً للجمعية الخيرية الاسلامية في العاصمة التي جاءته رئاستها منقادة اليه تجرر اذيالها . وقد اجاد الشاعر في موضعين في القصيدة اجادة لا يوجد الآن في جميع شعرائنا المعاصرين في مصر والشام من يعلو عليه فيها . الموضع الاول وصفه سيره في الليل نحو الخيام على مطيته والثاني اجتماعه في الخيام بمن سعى اليها في الخيال . وهذا نص القصيدة

قال في الغزل

جرى الدمع حتى ليس في الجفن مدمع   وقاسيت حتى ليس في الصبر مطمع
وما انا من يبكي ولكنه الهوى   يريد من الاسد الخضوع فتخضع

فلله قلبي ما اجلَّ اصطباره واثبته والسيف بالسيف يقرع
ولله قلبي ما اقل احتماله اذا ما نأى عنه الحبيب المودع
اذا لاح لي سيف من الخطب رعته وان لاح لي سيف من اللحظ اجزع
واقتاد ليث الغاب والليث مخدر ويقتادني الظبي الغرير فاتبع
وليل أضل الفجر فيه طريقه فلم يدر لما ضل من اين يطلع
سهرت به ارعى الكواكب والكرى عصي على الاجفان والدمع طيع
اود لو ان الطيف منّ بزورة وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
لقد عشت دهرًا ناعم البال خاليًا من الهم لا اشكو ولا اتوجع
اروح ولي في معهد الغي مربع واغدو ولي في مسرح اللهو مرتع
فما زلت ابغي الحب حتى وجدته فلما اردت القرب كان التمنع
فلم يبقَ لي عن ذلك الحب مهرب ولم يبق لي في ذلك القرب مطمع
كأني في جو الصبابة ريشة بايدي السوافي ما لها الدهر موقع
كأني في بحر الهيام سفينة احاط بها موج الردى المتدفع
كأني في بيداء دهماء مجهل تضل رخاخ في دجاها وزعزع
فلا انا فيها واجد من يدلني ولا نجمها يبدو ولا البرق يلمع
فمهلاً رويدًا ايها اللائم الذي يجرعني في لومه ما يجرع
نصحتَ فلم اسمع وقلتَ فلم اطع فما نصح حب لا يطيع ويسمع
فيا حبَّ هذا القول لو كان مجديًا ويا نعم ذاك النصح لو كان ينفع
قضى الله ان لا راي في الحب لامرئ وذاك قضاء نافذ ليس يُدفع
مررتُ على الدار التي خفَّ اهلها وطال بلاها فهي بيداء بلقع
معاهد كانت آهلات وكان لي مصيف تقضى في رباها ومربع
فياليت شعري هل يعودنَّ عيشنا بمعهدها والشمل بالشمل يُجمع
فنقضى لبانات وتطفى لواعج وتبرد اكباد وتنضب ادمع

وقال في سيره نحو الخيام في الليل

فما انس ما الاشياء لا انس ليلة تجشمت فيها الهول والهول مفزع
ولا مؤنس الا ظلام ووحدة ولا مسعد الا فؤاد مروع
ولا صاحب الا المطية حولها ذئاب تبارى في الفلاة وأضبع

ولا عين الا النجم ينظر باهتاً ويعجب لي ماذا بنفسي اصنع
اذا ما تشكت من كلال مطيتي وقد كلمتها السن السوط تسرع
اسير بها سير السحاب كأنني باذرعها عرض الفدافد اذرع
الى ان تنورت الخيام ولاح لي ضياء بدا من جانب الحي يسطع

وقال في وصوله الى الخيام

فاقدمت نحو الحي والحي هاجع وخضت سواد القوم والقوم صرع
وما كنت ادري قبل ذلك خدرها ولكن هداني نشرها المتضوع
فبت وباتت يعلم الله لم يكن سوى اذن تصغي وعين تمتع
نخال دوي الريح في الجو واشياً بنا وضياء البرق عيناً فنفزع
وما عين الا خوفنا وارتياعنا ولا ناظر يرنو ولا اذن تسمع
واعذب ورد راق ما كان نيله عزيزاً واحلى القرب قرب ممنع
فكانت برغم الدهر احسن ليلة رايت بعمري بل هي العمر اجمع
وما راعنا الا هدير حمامة على فنن عند الصباح ترجع
فقمت ولم تعلق بذيلي ريبة ولا كان الا ما يشاء الترفع
وودعتها والحزن يغاب صبرنا واحشاؤنا من حسرة تتقطع
فقالت اهذا آخر العهد بيننا وهل لتلاقينا معاد ومرجع
فقلت ثقي بالله يافوز انها سحابة صيف عن قليل تقشع
وسرت وقلبي في الخيام مخلف ولي نحو قلبي والخيام تطلع

وقال في الاستسلام الى الصبر وفيه التخلص

حنانيك رفقاً ايها الدهر واتئد فحسبي ما القى وما اتجرع
ورحماك بي فالسيل قد بلغ الربى ولم يبق في قوس التبصر منزع
على انني اصبحت لا متخوفاً ملماً ولا ان نالني الرزء اجزع
قد اعتصمت بالصبر نفسي وفوضت الى الله ما يعطي الزمان ويمنع
وامسيت لا اخشى الخطوب ووقعها ولو انها سم الاساود منقع
فقد بت جاراً للامام وانه اعز بني الدنيا جواراً وامنع

وقال في المديح

سمعت به دهراً فلما اتيته (رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع)

وشاهدت وضاح الاسارير اروعاً على وجهه نور من الله يسطع
تزاحم اقدام العفاة ببابه فلا هو محجوب ولا الفضل يمنع

ومنه

اذا سرتَ فالابصار نحوك حوّم وان قلت فالاعناق حولك خضع
واضحى بك الافتاء يختال عزة فما انت الا التاج منه مرصع
امولاي هذا الدهر والى صروفه عليَّ فانجد او اشر كيف اصنع
فما انا الا غرس نعمتك الذي يفاديه غيث من نداك فيمرع
فان شئتَ فالفضل الذي انت اهله والا فاني في الانام مُضيع

باب تدبير الصحة

الصحة والجو والهواء

كثيرًا ما يسمع الانسان بعض الاشخاص يقولون وهم ينظرون الى السماء « نشعر الآن بانقباض شديد لهذا الطقس المنحوس » او « ما احسن هذا الطقس فاننـا نشعر معه بارتياح شديد » فتحسب انهم واهمون والحقيقة انهم مصيبون . لان الجو والهواء يحملان من الكهربائية كمية توَّثر في نفس الانسان من حيث الانقباض والارتياح . واذا سمعت بعضهم يقول ان جسمي كالبارومتر توَّثر فيه تقلبات الجو فيكون صافياً متى صفي ومضطرباً متى اضطرب فصدقه للسبب المذكور آنفاً . وقد تكلم احد الاطباء في باريز عن هذه المجاري الهوائية وتاثيرها في الاخلاق فقال . نحن في باريز اذا هبت علينا الريح من الشمال فانها تاتينا باردة قارصة لمرورها على شواطئ نروج وثلوج سبيزبرج واذا هبت علينـا من الشمال الغربي كانت جافة لمرورها على قفار روسيا وسيبيريا ولكنها تكون غير نقية لما يمكن ان تحمل في مرورها . وقد تكون في بعض الاحيان جافة الى درجة لا تحتمل . واذا اتتنا من الشرق فانها لا تجيء بمطر ولا بثلج ولكنها تكنس الينا جميع الميكروبات المتجمعة

على آكام تركستان وفارس . واذا هبت من الجنوب الشرقي جاءتنا حارة كالجمر لمرورها على سهول بلاد العرب لو لم يلطفها البحر المتوسط وتبردها جبال الالب قليلاً وتجعلها في بعض الاحيان ثلجاً يتراكم عليها . واذا هبت من الجنوب فانها تجيء من افريقيا مارة في البحر المتوسط كمن يخرج من موقد و يستحم هنيهة بالماء . واذا هبت من الجنوب الغربي فانها تجيء من اميركا الجنوبية حارة كاوية . واما اذا هبت من الغرب فافتحوا « الشمسيات » لانها تكون قادمة من عرض الاوقيانوس تحمل البخار المائي الذي ينزل المطر كافواه القرب . ولكنها تكون نقية من كل شائبة . فهل يستغرب ان تؤثر هذه التقلبات العديدة في صحة الناس واخلاقهم

وقد ذكر الدكتور ريشمان في احدى المجلات الالمانية ان النزلة الوافدة لا تشتد وطأتها في الغالب الا في اشهر الشتاء وما ذلك لان البرد يسهل لها الفتك بل لان ميكروباتها تكون في مأمن من حرارة الشمس التي تقتلها . لانه من المعلوم ان حرارة الشمس تقتل كثيراً من الميكروبات . غير انها لا تقتلها كلها بدليل ان بعض الينابيع الموجودة في الخلاء قد تعيش الميكروبات فيها في الصيف وفي الشتاء

على ان علماء الطب لم يكتفوا بالبحث عن تاثير حرارة الشمس في قتل الميكروبات بل هم يرون ان ما في الجو من الكهربائية قد يؤثر فيها ايضاً . وهم يرون للكهربائية تاثيرين في اخلاق الناس . الاول تاثيرها لما تكون ايجابية ومآله تهييج الاعصاب واثارة الدم والثاني تاثيرها لما تكون سلبية وهي على الغالب تكون كذلك في اوقات الشتاء لما تكون السماء ملتحفة بالغيوم . ومآل تاثيرها هذا هو الضغط على الاجسام والتضييق عليها . ولا يزالون يواصلون البحث لمعرفة جميع الصلات التي بين الاخلاق والجو وهاتين الكهربائيتين . فلا يسوغ والحالة هذه ان يقال ان ما يشعر به الانسان احياناً من الارتياح او من الانقباض في نهار واحد منشأه الوهم فان منشأه الجو والهواء وما يحملانه من الكهرباء

المسكرات ونتيجتها ورسم جديد لها

اهتموا في فرنسا في هذه الاثناء بوضع رسوم جديدة على المسكرات فعارض بعض السياسيين بقولهم ان لجمارك الحكومة من المسكرات ايراداً كثيراً فاذا زيدت الرسوم على هذه البضاعة ولا سيما زيادة طائلة قل المستهلك منها فخسرت الدولة . فاجابهم علماء الطب والهيجيين في الحال بقولهم ان المسكرات شر الآفات واذا كانت تعطيكم بعض الرسوم من جهة فانها

تاخذ منكم اضعافها من جهة اخرى · ذلك ان شرابها يفضي بهم شربها في الغالب الى السل والجنون والتشوه والمرض فتضطر الدولة الى انشاء الملاجيء والمستشفيات الكثيرة قياماً عليهم واعتناءً بهم · فتخسر من هذه الجهة اضعاف ما تربحه من رسوم المسكرات · وما عدا ذلك فدعوا الناس يشربون من المسكرات ما يشاؤون ولكن بما انهم سيحملون الدولة في كبرهم خسائر العناية بتمريضهم سواء من الجنون او السل او غير ذلك من الافات فيجب عليهم ان يدفعوا لذلك منذ الآن رسوماً · فضعوا هذه الرسوم على المسكرات وسموها « رسوم السل والجنون على الكحول » فانكم تصيبون بذلك غرضين · الاول انكم تجمعون من هذه الرسوم الجديدة اكثر من ٤٠ مليون فرنك في السنة فتنفقونها لمداواة العجزة والمسلولين · والثاني انكم تنبهون في نفوس السكيرين ان السكر يفضي الى السل فربما اثر فيهم هذا التنبيه اكثر من الوعظ والارشاد · فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

وقد ورد في هذا الاسبوع ان مجلس النواب الفرنسوي قد جعل رسم الهيكتوليتر الواحد من الكحول ٢٢٠ فرنكاً بعد ان كان ١٥٦ فرنكاً والهيكتوليتر مائة ليتر · اما رسم الهيكتوليتر في اميركا فهو ٢٤٥ فرنكاً وفي هولانده ٣٥٢ فرنكاً وفي انكلترا ٤٧٧ فرنكاً والغرض من زيادة رسوم المسكرات جعلها غالية الثمن حتى لا يفرط الشعب ولا سيما الفقراء في تناولها · فهل يقدمون على مثل ذلك عندنا

الطاعون والبق والفار والدواء

من الثابت ان الطاعون والبق من اخص الوسائل التي ينتشر الطاعون بها · لان البق يعلق بالمريض فياخذ الميكروب منه ثم يعلق بالفار فينقله من بيت الى بيت واحياناً ينقله من مملكة الى مملكة وذلك بانتقال الفار في السفن او في اكياس البضاعة · ولكن المسيو ابيري الكيماوي كتب في المجلة الطبية والصيدلية في الاستانة فصلاً يظهر فيه التجارب التي اجراها لقتل الفار والبق فثبت منها ان الفار يموت بالحامض الكربونيك في مدة ٦ او ٨ دقائق وان الانيدريد كربونيك يقتل البق اختناقاً في بضع ثوانٍ فاذا استعمل الناس هذين الدوائين استراحوا من هاتين الآفتين

شؤون نسائية

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية فابدأوا
باصلاح العائلة . والعائلة قاعدتها
المرأة ففي اصلاح المرأة اصلاح الهيئة كلها

اي شيء في النساء هو اكره الى الرجال

١

انا اكره في النساء الخشونة وبنوع خصوصي اكره المرأة المتكبرة والتي تشتغل بلعب البوكر اكثر من شغلها بتربية اولادها وترتيب بيتها

وفي المرأة صفات كثيرة مكروهة من الرجال فهي مكروهة اذا كانت كثيرة الحركة كثيرة الكلام كثيرة الزيارات كثيرة السؤالات

واحترم المرأة العاقلة والتي لا تنخدع بظواهر المودة والتي تكون ارفع من ان تخضع لاحكامها الثقيلة . واحب المرأة الرزينة المتواضعة التي تمد رجلها على قدر بساطها وتلبس لكل حالة لبوسها والتي تفضل القيام بواجباتها العائلية على كل زينة وبهرجة

ويجب على المرأة في رايي ان تكون لطيفة ولكن لطفاً من غير خفة وذلك لانها منسوبة الى الجنس اللطيف

الاسكندرية حنا نقاش

٢

اكره شيء فيهن التصنع . مداخلتهن بما لا يعنيهن في اشغال ازواجهن الخصوصية . الادعاء . زعمهن ان لهن التقدم والتسلط على الرجال . كبرياؤهن بمجرد تلقيبهن بالجنس اللطيف . ضحكهن الكثير في محادثتهن مع بعضهن وتصويتهن اذا اجتمعن في مكان قلّ فيه الرجال كأنهن يحسبن ان من يجلس بينهن . يطرب به صوت الضفادع . . .

اللاذقية حر الضمير

٣

ما ابرد الذي يكره فيهن شيئاً

متحمس

٤

قرأت في جريدة الهدى الغراء التي تطبع في اميركا ان احد الآلهة عند الهنود خلق الرجل ثم اراد ان يخلق المراة فوجد ان جميع المواد قد نفدت لديه فاستعار الامور التالية · اخذ تلوي الحية وتموج العشب ولين البان ونعومة الزهور ورائحتها وخفة الريش ولفتات الظبي واستدارة القمر وبهاء اشعة الشمس ودموع الغمام وتقلب الاهواء وعجب الطاووس وصلابة الماس وحلاوة الشهد وقسوة النمر وحرارة النار وبرد الثلج وطيش الماعز وتغريد الحمام وكل طير مغرد · ثم مزجها بعضها ببعض وصاغ منها المراة وقدمها للرجل

فانا احب كل ما كان محبوباً من هذه الصفات واكره كل ما كان مكروهاً منها

هندي

٥

الكمال معدوم من سوء حظ الانسان ولكل انسان عيوب فمن شاء انتقاد عيوب المراة وكراهة نقائصها وجب عليه ان يكون بلا عيوب ولا نقائص

....

باب الاخبار العلمية

جزيرة جافا والحلقة المفقودة

جزيرة جافا مستعمرة هولاندية في ارخبيل سوند عدد سكانها اكثر من ٣٠ مليون نفس وعاصمتها باتافيا

وقد ذكرنا في بعض الاجزاء السابقة ان عالمين واحداً اميركياً وواحداً المانياً يتسابقان الآن اليها للتفتيش فيها عن الانسان القرد او الحلقة المفقودة التي يزعم انصار النشوء والارتقاء انها حلقة تربط الانسان بالحيوان · وقد رأينا في وصف هذه الجزيرة انها اكثر بلاد الدنيا الآن حيواناً ونباتاً وغياضاً ورياضاً · ومن مزاياها انه يوجد فيها الآن كثير من الحيوانات المنقرضة وجميع الحيوانات التي عاشت منذ الخليقة الى اليوم

موجودة فيها اما لحماً ودماً في الاحراش والغابات واما هيا كل عظام في تربتها

والذي اثار العالمين الاميركي والالماني انه شاع في مدجون احدى مدن الجزيرة انهم اكتشفوا فيها على جماجم اذا قيست بجماجم الانسان كانت ادنى منها رتبة ولكنها ارقى من جماجم ارقى الحيوان الآن . وهذا ما يسمونه الحلقة المفقودة . ومع ذلك فالامر غير مقصور على جماجم الاموات بل يوجد في الجزيرة كثير من القرود المتسلسلة من الحلقة المفقودة . . وهي اليفة لا تنفر من الانسان بل تدنو منه وتلاعبه . وسبب الفتها هذه ان الاهالي يكرمونها اكراماً يقرب من العبادة ويهدونها الهدايا كأنَّ منباء مريًا طبيعياً يدلهم على انها اجدادهم وانهم ابناؤُها . ويوجد في كل جهات الجزيرة غابات محترمة مقدسة لدى الاهالي لا يسكنها غير افواج من هؤُلاء القرود وخصوصاً في حرشٍ قرب بستان النبات في بويتزورج حيث توجد خميلة غاصة بالقرود والاهالي يقدمون لها في كل يوم هدايا من الارز والاثمار . ومما يروونه عن هذه القرود ان لها ملكاً عليها . فاذا قدموا لها هذه الهدايا وهي جالسة في ظلّ الاشجار لم تمدَّ الى الهدايا يداً بل انتظرت حتى ياتي ملكها ويتناول شيئاً من كل هدية ثم ياذن لها بالاكل فتاكل طائعة خاضعة

وقد ساح الدوق بانتيفر في سنة ١٨٨٨ في جافا وكتب تفاصيل سياحته فقال اني نظرت في المكان المذكور آنفاً منظراً غريباً . فان القرود فيها لطاف الاخلاق هادئون تمدّ اليهم يدك فيصافحونك بهز اليد مسرورين مرتاحين الى ذلك . وهم يمشون على ارجلهم منتصبي القامة كالانسان تماماً . وفي احدى الليالي كنا نتسامر في الحديقة واذا بنا نرى ان احد القرود الكبرى قد نزل من الاشجار الينا . فاستقبلناه وما شيناه فمشى بيننا منتصباً مثلنا دون ان يضع قط يديه على الارض . وكان قد تعود ان يرانا نأخذ باذرع بعضنا بعض رجالاً ونساء ونمشي فمد ذراعه كالمرأة واعطاني اياها فادخلت ذراعي بذراعه ومشيت معه والكل يضحكون وهو مسرور مرتاح . وبقي يداعبنا ونداعبه ساعة ونصفاً واذا بمطر من البلح قد تساقط علينا فعلم حينئذٍ ان رفاقه في اعالي الاشجار ينادونه بهذه الطريقة فتركنا وتسلق النخيل مسرعاً اليها

وليست القرود بالعجيبة الوحيدة الموجودة في جافا . فان فيها من عجائب الحيوان شيئاً كثيراً . من ذلك انك تكون ماراً في الطريق فتجد ورقة خضراء كبيرة كورق الاشجار فتنحني وتمد يدك لتتناولها فلا تشعر الا وهذه الورقة قد انقلبت حيواناً كلمح البصر

ثم اخذت تعدو مبتعدة عنك · ذلك ان حيوانًا يسمونه « فيليا » يضغط نفسه على الارض حتى يصبح بشكل الورقة تمامًا وهم يسمونه في الجزيرة « الحيوان الورقة »

فيتضح مما تقدم ان العالمين الاميركي والالماني قد يجدان في جافا الحيوان الذي سارا للتفتيش عنه لان الجزيرة غاصة بالحيوانات العجيبة الغريبة التي لا يوجد لها الآن من اثر في باقي اقطار العالم · واذا صدقنا جريدة الطان المهمة كان العلماء قدوجدوا هذا الحيوان منذ خمس سنوات · فان عالمًا من الفرنسو يين كتب اليها يوم روايتها خبر سفر الاميركي والالماني الى جافا للتفتيش عن الحلقة المفقودة كتابًا يقول فيه ان الدكتور ديبوى الهولاندي قد اكتشف منذ خمس سنوات في جافا جمجمة الحيوان المذكور والف كتابًا اثبت فيه ان هذا الحيوان هو الحلقة المفقودة · فالفضل اذًا له لا لاميركي ولا لالماني · فنشرت جريدة الطان هذا الخبر بسرور واستنتجت منه نتيجة جميلة يسرنا ان ننقلها هنا · وهي قولها « ماذا ؟ اذًا وجدوا الحلقة المفقودة ونحن غافلون ؟ على اننا لا نستاء من ذلك بل نسرّ به لانه يثبت ان ثبوت مذهب دروين في هذا الشان لا يهدم دينًا من الاديان ولا مبدأً من المبادئ اذ قد وجدت الحلقة المفقودة دون ان يؤثر ذلك في المذاهب الدينية والفلسفية »

❊ معرفة الطقس من النظر الى القمر ❊ لما يكون القمر في تمامه صافيًا منيرًا من غير ان يكون حوله هالات حمراء فاعلم ان الطقس جيد · ولكن اذا رايت كلفه شديدة السواد وحوله هالتان او ثلاث كثيفة مظلمة فاعلم ان الجو رطب وان الطقس سيكون رديئًا جدًا · واذا كان القمر في التمام والسماء صافية من كل جانب فذلك علامة الطقس الجيد والجفاف · واذا كان القمر احمر اللون حين اشراقه فذلك يدل في الشتاء على قرب هبوب رياح شديدة وفي الصيف على حر شديد · واما اذا كان صافيًا في اشراقه فذلك يدل في الصيف على طقس جيد وفي الشتاء على برد شديد

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دفاع بلفنا ﴾ هو كتاب جديد لمؤلفه الفاضل عظم زاده حقي وصف فيه حصار بلفنا وثبات الجيش العثماني فيها اشهراً طويلة . وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذا التاريخ على « كتاب دفاع بلفنا » التركي لمؤلفه احمد بك جمال وكتاب « حرب الشرق بين الدولة العثمانية والروس » الفرنسوي وكتاب « دفاع بلفنا » تاليف الفريق مظفر باشا وهو باللغة الفرنسوية ايضاً . وقد تصفحنا هذه النسخة العربية فسرنا ان نرى باللغة العربية تاريخاً لتلك المعركة التي كللت الجيش العثماني باكليل الفخر . غير اننا كنا نود لو كان المؤلف اكثر عناية بلغة هذا الكتاب الثمين وموعده في ذلك الطبعة الثانية ان شاء الله

وقد نقلنا في باب المقالات بعض صفحات الكتاب لتكون مثالاً له . وهو يطلب من المكاتب وثمنه ستة غروش صاغ فنشكر لحضرة المؤلف هديته ونرجو ان يقتدي به كثيرون من الادباء في نشر المفاخر الوطنية

﴿ المكتبة الخديوية ﴾ لا يوجد احد من الادباء في الثغر الا و يعرف المكتبة الخديوية لصاحبها حضرة الاديب جرجي افندي غرزوزي مدير جريدة الرقيب والمطبعة التجارية وقد اهدتنا هذه المكتبة ست روايات من رواياتها التي نُشرت في جريدة الرقيب معربة عن اسكندر دِماس الشهير بقلم صديقنا الكاتب الفاضل نجيب افندي ابرهيم طراد منشىء الرقيب الذي اوحش الاسكندرية في هذا الشهر وسافر الى الاقطار الاميركية من غير ان يودع اصدقاءه . اما هذه الروايات فهي المتمولة الحسناء وخليلة هنري دي نافار ووقائع رني ووقائع الملكة كاترين وحصار باريز وكلها سلسلة واحدة من التاريخ والفكاهة . ثم رواية ملكة النوَر . وهي تباع مع غيرها من الروايات الطلية في المكتبة الخديوية باسعار زهيدة فنحث الادباء على مطالعتها

﴿ شقاء الامهات ﴾ تنشر رصيفتنا الفاضلة السيدة الكسندره افيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس الغراء في ذيل مجلتها الحسناء رواية بليغة العبارة طلية الاسلوب عنوانها « شقاء الامهات » وقد اتمت نشرها فجمعتها على حدة واهدتنا منها نسخة مطبوعة في مطبعة البصير الغراء طبعاً حسناً وعلى ورق جيد فنشكر لها هديتها ونرجو رواج روايتها

﴿ محمد علي الكبير ﴾ اهدي الينا حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في العاصمة رواية طبعها على نفقته بقلم المرحوم زين زين وعنوانها محمد علي الكبير وهي مزينة برسوم الامراء الذين تولوا مصر ومطبوعة طبعاً حسناً وتطلب من ناشرها بستة غروش صاغ

﴿ السمير الصغير ﴾ اعلنت ادارة مجلة السمير الصغير انها قررت منذ بداية سنة المجلة الرابعة ان تغير حجمها وتزيد في تحسينها وقد وصلنا العدد الاول منها ناطقاً بتقدمها فنرجو لها النجاح وزيادة الانتشار في حلتها الجديدة

﴿ الجغرافيه الحديثة ﴾ هو كتاب في مبادىء الجوغرافيه تاليف حضرة البارع محمد افندي صالح سليمان ناظر مدرسة تلا . ومن مزاياه انه يحتوي على رسوم تشرح الموضوع الذي يُساق الكلام عليه زيادة في تفهيم الطالب الدروس التي يراها فيه . وهو مؤلف بناء على مقرر السنة الاولى حسب بروجرام نظارة المعارف فنرجو له الرواج في المدارس

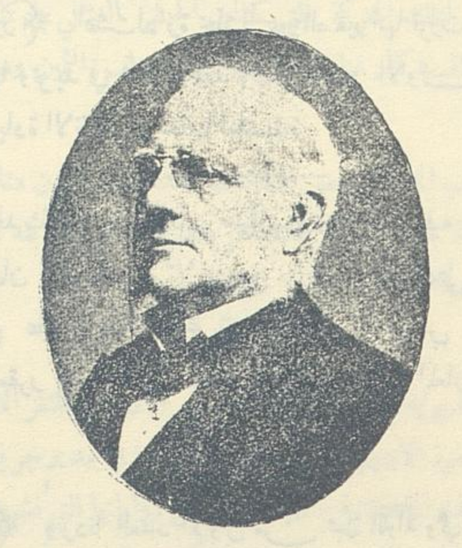
﴿ مجلة اللواء ﴾ وردنا العدد الاول من مجلة اللواء وهي مجلة شهرية لصاحبها عزتلو مصطفى بك كامل صاحب جريدة اللواء يجمع فيها في كل شهر اهم المقالات والفصول التي تُنشر في جريدته من قلمه او من اقلام بعض الكتاب المجيدين . وهي تحتوي فضلاً عن ذلك على اهم حوادث الشهر واخباره السياسية وترسل مجاناً لمشتركي اللواء فنرحب بهذه الرصيفة الجديدة

تاريخ الاسبوعين

الفيلسوف ماكس مولر

المستشرق الانكليزي الشهير

كان الفيلسوف ماكس مولر الذي توفي في هذا الشهر من اعاظم رجال العلم في اللغات الشرقية في هذا القرن فخسر العلم بوفاته مرجعاً عظيماً يعول عليه ويُرجع اليه ٠ وكان رايه راجحاً في مسائل اللغات الشرقية فلا يبديه في مسالة من هذه المسائل حتى تحنى امامه الهام ويتلقاه العلماء الاعلام بكل احترام ٠ فخسارته خسارة كبرى للعلم في هذا القرن



الفيلسوف ماكس مولر

والفيلسوف ماكس مولر انكليزي ولكنه من اصل الماني ٠ وقد كان صلة من اشد الصلات بين المانيا وانكلترا ٠ وهو من اعاظم رجال العلم والسياسة الاجانب الذي تكلنزوا — اذا صح هذا التعبير — ورفعوا شان انكلترا بعلمهم وفضلهم ٠ وكثير ما هم

ولد في ديسو من اعمال المانيا في سنة ١٨٢٣ وابوه وليم مولر الشاعر الالماني ٠ وقد تلقى العلم في كلية ليبزيك ثم قدم برلين وسافر منها الى باريز فتتلمذ للاستاذ الكبير بورنوف

الذي افاده في حياته فوائد جمة

وكان مولر منصرفاً منذ شبابه الى درس اللغة السنكريتية وهي لغة الهنود المقدسة وقد عزم على الاقامة في باريز والتجنس بالجنسية الفرنسوية · غير ان معلمه الاستاذ بورنوف زين له السفر الى لندرا لفحص نسخة من كتاب الفيدا الهندي الذي هو عبارة عن انجيل او قرآن عند الهنود كان موجوداً في مكتبتها الملكية · فسافر اليها وهو يؤمل العودة الى باريز · ولكن سفير المانيا في لندرا اقنعه بالاقامة في لندرا فهجر باريز واقام فيها وتجنس بالجنسية الانكليزية فخسره الفرنسويون وربحه الانكليز فخسر الاولون بخسارته خسارة عظيمة وربح الآخرون بربحه ربحاً يوازي ضمهم مستعمرة كبرى الى بلادهم لان هذا الرجل اصبح رجلاً عظيماً مسموع الكلمة ومحبوباً في اوربا كلها وهذه الشهرة كانت عائدة الى انكلترا وحدها

وفي حوالى سنة ١٨٤٩ تمكن ماكس مولر بمساعدة الانكليز له واقبالهم على تعضيده من نشر كتاب الفيدا بعد تنقيحه وتحقيقه جيداً · فقامت قيامة براهمة الهنود حين وقوفهم على النسخة المنشورة وحسبوا ان احد اكابر علمائهم قد خانهم وترجم كتابهم الى الانكليزية ولم يصدقوا قط ان رجلاً اوربياً استطاع التضلع من لغتهم الى ذلك الحد · وذهلوا عن ان البلاد البوذية كاليابان نفسها كانت ترسل الى ماكس مولر كهنتها ليحسن تعليمهم اللغة السنسكريتية

وكان ماكس مولر مولعاً اشد ولع ببوذه الذي لخصنا حياته في صدر هذا الجزء ولذلك كان يقول « لو لم يكن بوذه انساناً لقلت انه اله »

اما صلاته بفرنسا التي كان قد عزم على ان يتخذها اماً له قبل سفره الى انكلترا فانها بقيت قوية حسنة · وكان له بين الفرنسويين كثيرون من الاصدقاء والمعجبين به والآسفين لتركه بلادهم · لكن مولر ساء الفرنسويين كثيراً بحضوره افتتاح الكلية العلمية في ستراسبورج من اعمال الالزاس واللورين وكان في ابان الحرب بين المانيا وفرنسا شديد الانتصار الى الاولى ضد الثانية غير ان الفرنسويين من فرط حبهم له وشدة مجاملته لهم بعد ذلك تناسوا هذين الامرين في المدة التالية

وقد نال هذا الفيلسوف كثيراً من مراتب الشرف وكان عضواً في مجامع علمية كثيرة وله مؤلفات جمة في غاية الاهمية · وكان له مناظرون كثيرون انما كان له في المناظرة اسلوب غريب لفرط قوته · فانه كان يهاجم مناظره من حيث يدري ولا يدري ويصدمه

بغتة صدمة تضعفه ويبرز بعد ذلك فائزاً غالباً

وقد زاره قبيل وفاته بعض تلامذته وهو على فراش الموت فحادثهم الفيلسوف حديثاً مقتضباً ثم نصح لهم ان لا يضيعوا الوقت بل فليتمتعوا بهذه الحياة دون ان يعبئوا بمصاعبها واحزانها . فذهل كثيرون من هذه النصيحة الاخيرة لاسيما وانها تشبه النصيحة التي نصحها الفيلسوف ارنست رنان على فراش موته . على ان رنان نصح هذه النصيحة للشبان لانه يرى الحياة في التمتع واغتنام اللذات والمسرات اذ هو لا يعتقد بحياة ثانية . فهل ان مولر اوصله علمه وهو على ابواب الازلية الى هذه النتيجة السوداء الممقوتة . لا نعلم ولكننا نعلم ان نصيحته الاخيرة الى تلامذته قد اثارت كثيراً من الارتياب والشك في نفوس كثيرين من الذين يقدرون كلامه قدره وذلك لانه لم يسبق له انه نصحهم بمثلها

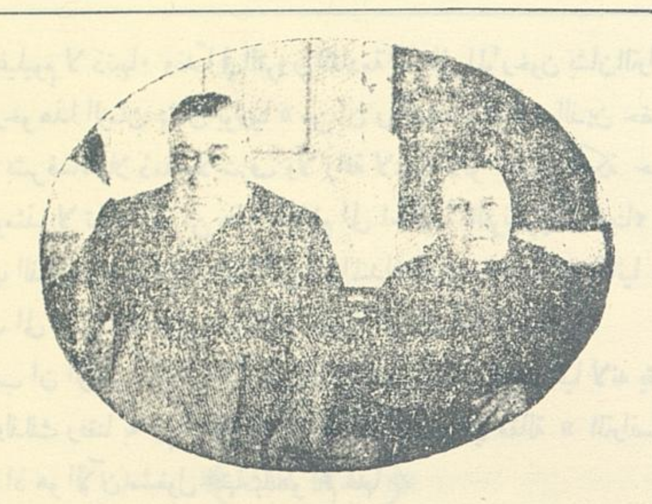
وقد رأينا من الواجب ان نلخص ترجمة هذا الفيلسوف في السطور التي تقدمت وننشر بينها رسمه لان وفاته من اعظم الحوادث التي حدثت في هذا العام

الرئيس كروجر في اوربا

ومسألة الترانسفال

اهم حوادث هذا الشهر وصول الرئيس كروجر الى اوربا . وقد سافر اليها مع رجال حكومته على الباخرة جلدرلند الهولاندية التي بعثت بها اليه الملكة ولهلمين ملكة هولاندا لتنقله الى مرسيليا فمر عليها الرئيس في قناة السويس دون ان يعرج على السويس او بور سعيد مع ان جميع مكاتبي الجرائد المصرية كانوا في انتظاره . فذهب تعبهم سدى

ولما وصل الرئيس الى مرسيليا هاج الشعب فيها وماج واستقبله كما يستقبل الملوك العظام فلم ترَ مرسيليا يوماً مثل ذلك اليوم . وقد القى الرئيس عند الاستقبال خطبة قال فيها انه قدم الى اوربا لطلب التحكيم في مسالة الترانسفال لانه لا ينهي الحرب امر غير التحكيم وانه معتمد في ذلك على جميع الشعوب اخصها الشعب الفرنسوي . واذا قيل ان البوير قد خضعوا فذلك دليل على انهم قد فنوا عن بكرة ابيهم لانهم يفنون ولا يخضعون . ثم قال انه حارب المتوحشين في زمانه ولكن حرب الانكليز اشد هولاً من حروبهم . وهو قول قد اخطأ فيه الرئيس كروجر لان المنتظر من عقله وسعة صدره ان يكون اكثر اعتدالاً وهدوءاً بالرغم عن ياسه فان الانسان لا يعرف عقله الا في شدائده



الرئيس كروجر وقرينته

ولما وصل الى باريز قامت قيامة الباريزيين فدخلها باحتفال يحاكي الاحتفال الذي سيدخل اليها به الجنرال الذي يرد الى فرنسا الالزاس واللورين كما قالت الجرائد الفرنسوية . وقد زار المسيو لوبه رئيس الجمهورية زيارة رسمية فرد له الرئيس الزيارة وزاره ايضاً المسيو ديلكاسه ناظر الخارجية مع جميع اكابر فرنسا من رجال العلم والسياسة . وقرر مجلس النواب ومجلس الشيوخ قرارين اظهرا فيهما ميلهما ووددهما الى الرئيس كروجر بمناسبة نزوله في باريز . وقبل سفره منها نشرت الجريدة الرسمية الفرنسوية نسخة من المعاهدات التي عقدت بين الدول في موءتمر لاهاي فزعم الغلاة ان فرنسا تقصد بذلك التمهيد الى المداخلة بين انكلترا والترانسفال لان من اهم قرارات الموءتمر اقامة التحكيم الالزامي بين الدول

والخلاصة ان استقبال الرئيس كروجر في فرنسا كان عظيماً جداً . ولكن الرئيس ما وصل الى كولونيا من اعمال المانيا في سفره الى برلين لمقابلة الامبراطور غيليوم حتى ابلغه الامبراطور انه لا يستطيع مقابلته لبعض الشوءون الخصوصية . ثم نشرت الحكومة الالمانية مذكرة قالت فيها انها تحسب من الجناية ان تبقي للبوير املاً او شبه امل بمساعدتهم لانها بذلك تطيل المناوشات الدموية في جنوبي افريقيا . فهاجت الجرائد الفرنسوية لهذا القول ونددت بالامبراطور غيليوم قائلة انه كان اول من شجع البوير على مقاومة الانكليز بتلغرافه المشهور ايام غارة جمسون فكيف يقول الآن ان تشجيعهم جناية

وفي راي هذه الجرائد ان فرنسا قد قامت بما يجب عليها للانسانية والحرية . فانها صنعت كل ما كان في امكانها لمساعدة البوير واذا لم تتداخل اوربا فالذنب يكون ذنب

الامبراطور غيليوم لا ذنبها. وغداً في القرون القادمة اذا قال المؤرخون بشان الترانسفال ما يقوله مؤرخو هذا الزمان بشان بولونيا « من ان رؤساء الحكومات الذين حضروا تقسيم هذه المملكة بشر قساة بلا ذمة ولا شرف ولا رافة لانهم اذنوا بتقسيم مملكة حيـة وقتل حريتها » فيومئذٍ لا توجه كلمة من هذا الكلام الى الحكومة الفرنسوية . وبناء عليه فان المبدأ الادبي الذي دافعت فرنسا عنه اسمي من المبداء الذي دافعت عنه المانيا . فان الاولى نظرت الى الحق والمستقبل . والثانية نظرت الى المصلحة والحاضر

ولا ريب ان الرئيس كروجر الآن في منتهى اليأس بعد بلاغ المانيا لانه يقطع له كل امل تقريباً ولذلك رفقنا به ولم نجعله يمثل دوره الاعتيادي في مقالة « الترانسفال ظالمة ام مظلومة » اذ هو الآن مشغول عنها بما هو اهم منها

بقي ان نسال ماذا يصنع البوير بعد الآن . اما نحن فنرجح مع كثيرين ان هؤلاء الفلاحين الذين ينبون عن كل ضيم سيرحلون بعد ضجرهم من المناوشات العجيبة التي يقومون الآن بها الى ما وراء بلادهم من البلاد شمالاً شمالاً في القفار والجبال كما رحلوا قبل ذلك من الكاب والناتال الى حيث الترانسفال الآن وهنالك يبنون ترانسفالاً ثانية ويعيشون فيها بامن وحرية. لان قوماً يثبتون هذا الثبات في وجوه الخصم يستحيل عليهم ان يعيشوا معه بعد الآن فان الدماء قد اريقت انهاراً والجرح بليغ والقلوب مثل الزجاج اذا تنافر ودها وانكسرت فكسرها لا يجبر والسلام

✵ صندوق التوفير والاقتصاد ✵ قررت الحكومة المصرية انشاء صندوق توفير واقتصاد سمته « صندوق توفير البوسطة » لانها عهدت الى مصلحة البوسطة ادارته . وقد ضمنت الحكومة للاهالي المال الذي يودعونه فيه وهو يعطيهم عنه ٢ ونصف بالماية فائدة. ويجوز لهم ان يودعوا فيه المبالغ الصغيرة على سبيل الاقتصاد على شرط ان لا يتجاوز المبلغ المقتصد في العام ٥٠ جنيهاً وان لا يتجاوز المبلغ كله في كل الاعوام ٢٠٠ جنيه واذا انقضت ١٥ سنة على المبلغ دون ان يطالبه صاحبه اصبح ملكاً للصندوق فنحن يسرنا ان نسطر مشروعات اقتصادية مفيدة كهذا المشروع ونتمنى ان تكثر امثاله عندنا

✵ اسعد منصور ✵ نعي الينا من طرابلس الشام الماسوف عليه المرحوم اسعد منصور توفاه الله فيها وعمره ٥٧ سنة وكان قد ذهب اليها من الثغر لتبديل الهواء رحمه الله رحمة واسعة والهم آله جميل الصبر على فقده

الفصل الاول

❊ حدّاد الملك ❊ (١)

تركنا الملك في الجزء الماضي عائداً مع الملكة والبلاط من فرساليا الى باريز بعد هجوم الشعب على قصر فرساليا وقتله بعض حراسه. فلنعد الآن الى باريز لنشهد دخوله اليها

وكان المجمع الوطني في فرساليا لما علم بعزم الملك على السفر الى باريز اعلن ان المجمع تابع للملك فحيث يكون الملك يجب ان يكون المجمع ولذلك ركب اعضاؤه المائتان مركبات وراء مركبات البلاط وعادوا معه الى باريز

اما شعب باريز فلما بلغه هذا الخبر ارتاح اليه كل الارتياح لانه كان بمثابة فوز عظيم له فضلاً عن كونه صار يؤمل ان تنقضي المجاعة الهائلة التي كانت في باريز اذ حسب ان وجود الملك بينه كافٍ لازالة المجاعة

فما اشد الشعوب سذاجة واكثرها تعلقاً بالاوهام

ولذلك اخذ الشعب يتجمهر تجمهراً هائلاً لمشاهدة دخول الملك الى عاصمته. وكان الوقت صباحاً واليوم ٦ اكتوبر من سنة ١٧٨٩

(١) حداد الملك — كان الملك لويس السادس عشر الذي نحكي هنا قصته مولعاً بالحداة والنجارة. فاذا قلنا حداد الملك اردنا بذلك الحداد الذي كان يعلمه الحدادة فيجدر بالقارىء ان يطالع الفصل التالي بامعان ليرى فيه شهادة المعلم «كامين» لتلميذه لويس السادس عشر. ولا ريب ان روسو الذي كان غير ميال الى الملوك ولكن شديد الرغبة في ان يتعلم كل انسان حرفة يدوية لو علم بان الملك لويس السادس عشر كان اكثر ميلاً الى الحدادة منه الى الملك لاصبح اكثر ميلاً الى هذا الملك بالرغم عن رخاوته وضعفه. ومما يجعل لوقائع الملك وحداده اهمية خصوصية ان شهادة هذا الحداد كانت من

وكان في جملة القادمين الى حانة على الطريق التي سيمر الملك فيها تدعى حانة " بون سفر " رجل يمشي بخطى واسعة وهو مفكر ومطرق الى الارض و بيده بندقية · ولكن هذه البندقية كانت من اجود انواعها وعليها مكتوب اسم " لكلير " الذي كان يصنع سلاح النبلاء في ذلك الزمان لشهرته بصنع السلاح · وكان الرجل يقبض عليها بيد قوية ضخمة ملطخة بسواد مما يدل على انها اعتادت عرك الحديد والعمل به ولذلك كان البون واضحاً بين تلك البندقية اللطيفة الثمينة واليد الضخمة التي تقبض عليها

ولكن في ايام الثورات الهائلة لا تكون البندقيات اللطيفة الثمينة في الايدي اللطيفة البيضاء دائماً · بل انها اكثر ما تكون في الايدي الضخمة القوية

ولما وصل هذا الرجل الى الحانة المذكورة دخل اليها فوجدها خالية خاوية فجلس على مائدة هناك واخذ ينظر الى الباب كانه يتوقع قدوم قادم عليه · ولكنه لم ينتظر طويلاً · فانه ما لبث ان دخل عليه رجل يقارنه في العمر اي انه في نحو الار بعين غير ان منظره وهيئة وجهه يدلان على ما في نفسه من الخشونة والجهل والفساد · فجلس هذا القادم الجديد على مقعد في الحانة بازاء الرجل الاول

ولكنه لم يستقر به المكان حتى التفت اليه الرجل صاحب البندقية وقال ضاحكاً — البرد قارس ايها الرفيق والملك لا يصل الا بعد مدة فهل لك ان نشرب معاً كأساً من الخمر

فحسب الرجل الثاني ان ذلك الرجل يخاطب انساناً غيره ولكنه رآه ناظراً اليه فسأله اتخاطبني انا · فاجاب نعم اخاطبك انت لانني قد ضجرت من الوحدة في هذه القهوة ومن طبعي الضجر دائماً فهل تشاركني في زجاجة من الخمر

فاجاب الرجل كيف لا ولك الفضل ايضاً · ثم قام وانحرف نحوه وجلس معه

الاسباب التي حملت المحكمة العليا على الحكم على الملك · ذلك ان هذا الحداد قد شهد ان رجال الملك دعوه الى قصره ليعمل له خزانة حديدية سرية كما ترى في هذا الفصل ثم انهم بعد اتمام عمله سقوه سماً لكي لا يبقى احد عارفاً بوجود هذه الخزانة · وسيرد الكلام عن ذلك بالتفصيل · وقد نشرت مجلة المقتطف في احد اجزائها الاخيرة على ما نذكر مقالة لاحد الكتاب الادباء عنوانها " صفحة من تاريخ فرنسا " وموضوعها هذه الحادثة التي حدثت بين الملك وحداده فالذين قرأوا تلك المقالة يجدون لذة خاصة في الفصل التالي والفصول التي تتلوه بهذا الموضوع

فاحضر صاحب الحانة زجاجة من الخمر وصب كاسين للرجلين فتناول كل واحد كاسه فقال الرجل الاول « نشرب نخب الامة » فنظر اليه الرجل الثاني وقال باسماً · احسنت نعم نشرب نخب الامة

ذلك ان اسم الامة قد شغل في ذلك الزمان كل شيء حتى الحانات فصاروا لا يشربون الا نخب الامة بعد ان كانوا يشربون نخب الملك · والسبب في ذلك ان السلطة والسيادة كانتا قد انتقلتا من الملك الى الامة

و بعد شرب الكاسين التفت الرجل الاول الى الثاني وساله · وهل انت مشتاق كثيرًا الى رؤية الملك حتى تبكر الى مشاهدته

فهزّ الرجل الثاني كتفيه وقال له انا لا اشتاق الى رؤية الملك · فقال الرجل الاول ضاحكاً ولماذا · قال لانني قادر على رؤيته كلما اردت · فاظهر الرجل الاستغراب ثم قال عجباً وكيف ذلك فان اعظم الناس لا يستطيعون مشاهدة الملك كلما ارادوا · فقال ذلك الرجل ضاحكاً نعم لان اولئك العظماء الذين تعنيهم ليسوا معلمين للملك · فازداد الرجل اظهارًا لدهشته وقال · وماذا تعني بهذا القول هل انت معلم الملك · فاجاب نعم انا معلمه فقال وماذا تعلمه · قال لا اعلمه الآن ولكنني علمته منذ بضعة اعوام قال وماذا علمته · قال علمته صناعة الحدادة

فما لفظ الرجل الثاني هذه الكلمة حتى نهض الرجل الاول قائماً وانحنى باحترام قائلاً هل انا متشرف الآن بمخاطبة المعلم « كامين » — فضحك الرجل ولكنه سرّ بهذا الاكرام واجاب نعم انا « كامين » الحداد اكبر الحدادين ومعلم المعلمين

فجلس الرجل الاول وهو يقول انك تعذرني اذا كنت لم اعرفك لاول وهلة يامسيو كامين على انني مسرور بهذا الاتفاق الذي اتاح لي شرف معرفتك · فحدثني الآن كيف كنت تعلم الملك لا ريب ان تعليمه صعب ومضجر لانك في كل كلمة يجب ان تقول له جلالتك وجلالتك · ثم صب كاسين من الزجاجة ايضاً · فضحك كامين وقال · لا لا · عندي في المعمل لا يوجد جلالتك ولا عظمتك فانني كنت اعامله كما اعامل رجلاً مثلي يريد ان يتعلم صناعتي · وهو رجل بسيط القلب لين العريكة فكان يرضى مني بكل شيء · كنت اقول له اصنعوا هذا · لا تصنعوا هذا · اضربوا هنا لا تضربوا هناك · امسكوا كذا لا تمسكوا هكذا · نعم انني كنت اخاطبه بالجمع وهو يخاطبني بالمفرد ولكنني ما كنت اقول له لا جلالتك ولا عظمتك لانه في معملي رجل مثلي ولو لم يكن ملكاً لكان دوني لان التلميذ

دون معلمه

فقال الرجل الاول نعم ولكنك في وقت الغذاء كنت ولا بد تذهب الى مائدة الخدامين فتاكل عليها والملك يذهب الى مائدته

فاجاب الرجل بنزق لا لا فانه كان يلذ له ان ياكل معي من الصحن الذي آكل منه لان ذلك يكفيه كما كان يقول عناء غسل يديه في غدائه مع الملكة ولذلك كان يفضل مائدتي في المعمل على مائدتها · وكانت الملكة تاتيه احيانًا فترى يديه الملطختين باثار الحديد فتقول له باشمئزاز « يداك قذرتان ياذا الجلال » وقد نسيت ان الذي يشتغل بالحدادة لا يمكن ان يكون نظيف اليدين

فقال الرجل الاول اترك هذا فانه يستدر الدموع وقل لي هل كان الملك لا يضجر من صناعة الحدادة · فاجاب المعلم كامين · كلا كلا وقد عهدته انه لا يكون مسرورًا كل السرور الا في معمل الحدادة وفي غرفة الجوغرافيا لما يبحث في خرائطه واوراقها وفي غرفة المكتبة لما يحادث امينها · ولكن المسيو ناكار كان لا يترك له وقتًا طويلاً لذلك بل ياتيه باكداس من الورق تضيع وقته وتسبب له الانقباض والحزن · فياليته خصص كل وقته بصناعة الحدادة فانه كان قد برع فيها براعة تفوق براعة المعلمين فيها لانه مستعد لهذه الصناعة كل الاستعداد خلافًا لصناعة الملك فانه بسيط القلب شريف النفس والاخلاق ولذلك لم يبرع فيها

فقال الرجل الاول لا بد انك صرت غنيًا لان الذي يعاشر الملوك يغتني من خيراتهم · فاجاب المعلم « كامين » لا ازال كما كنت فقيرًا وقد اصبح لويس السادس عشر مثلي لانه كان يعطي نصف ماله للفقراء والنصف الثاني للاغنياء ولذلك افتقر ولم يصنع لامثالي شيئًا · وقد كانت تحدثه نفسه ان يخفف نفقات بلاطه فانقص يومًا من الايام راتب المسيو كوانيي فجاء هذا الرجل وانتظره امام باب المعمل فما خرج الملك حتى عاد مسرعًا وهو اصفر اللون كالاموات فسالته ما به فاجاب ان المسيو كوانيي كاد يضربه لانه انقص راتبه فسالته ماذا صنعت فاجاب انه ابقى له راتبه كما كان خوفًا من غضبه · فتامل وقاحة هولاء النبلاء الذين يطلبون اخذ الرواتب والاموال بالقوة والعصب · ثم ان الملك في ذات يوم ابدى ملاحظة للملكة بشان ٣٠٠ الف فرنك تقبضها مدام بولينياك صديقتها · فاجابته الملكة ان هذا المبلغ يسير وجعلته بالرغم عنه عقابًا له ٥٠٠ الف فرنك · هكذا كان يعطي الملك النبلاء ابناء كوانيي وفودريل و بولينياك حتى انهم رحلوا الآن عن فرنسا وصناديقهم

طالحة بالملايين بعد ان كانوا لا يملكون شيئاً · كل ذلك دون ان يعطيني مبلغاً اكتفي به الفقر انا صديقه ورفيقه ومعلمه الذي علمه كيف يمسك المبرد والمطرقة في يده

فقال الرجل الاول ولكن لا بد انك تربح ربحاً وافراً من العمل معه بالحدادة فقال كامين ومن قال لك انني اعمل معه الآن فانني اصبحت اجتنبه لان معاشرته صارت خطراً في هذا الزمان ولا سيما بعد سقوط الباستيل · على انني لقيته مرة او مرتين منذ امد بعيد · المرة الاولى في الشوارع وكانت غاصة بالناس فاكتفى بانه سلم عليَّ من بعيد · والمرة الثانية في طريق ساتوري فانه اوقف مركبته لما رآني وقال « صباح الخير يا كامين المسكين » وقد قالها متنهداً فاجبته يظهر من تنهدك انك غير مستريح البال فلا باس بذلك فانه عقاب لك على تركك الحدادة · فقال كيف امرأتك واولادك فاجبته بصحة جيدة وقابلية تفني كل شيء فقال لي الملك اصبر وخذ لهم مني هذه الهدية ثم مدَّ يديه الى جميع جيوبه وفتشها كلها فلم يجد فيها غير تسع ليرات (بنتو) فتناولها واعطانيها قائلاً « يسؤني ان اقدم لك هدية حقيرة كهذه » فتامل هذا الملك الذي لا يوجد في جيبه سوى تسع ليرات

فقال الرجل الم تره منذ ذلك الحين · فاجاب كلا فقال وكيف لم تره في ليل امس حين سفره من فرساليا عائداً الى هنا فقال الحداد لانني سافرت في الساعة الثالثة بعد نصف الليل اي قبل سفره · فاظهر الرجل استغرابه وقال كيف تسافر في الساعة الثالثة فقال هذا امر حيرني انا نفسي ولا باس ان اذكره لك · فان صاحب منزل كبير في باريز دعاني مساء امس الى ان اجيء باريز واصنع له شيئاً في منزله · ولكنه اشترط عليَّ ان يستر عيني حين دخولي الى المكان وخروجي منه لئلا اعرفه · اما الشيء الذي يطلب ان اصنعه فهو خزانة كبيرة حديدية سرية توضع في جدار وتُغطى بقطعة من الخشب مدهونة بلون الجدار حتى اذا اقفلت الخزانة لم يبن لها في الجدار اثر · فرضيت بذلك لانهم عرضوا عليَّ اجرة وافرة وانا محتاج الى المال من اجل عائلتي فجئت معهم امس في الساعة الثالثة · فلما وصلت الى احد الشوارع صادفني رجل وسالني أأنت المعلم كامين قلت له نعم فتناول منديلاً وربط به عيني ثم سار بي الى المنزل المذكور وادخلني الى الغرفة التي يريد وضع الخزانة في جدارها فرفع الرباط عن عيني واراني العمل الذي يجب ان اعمله فما زلت اعمل حتى الصباح ففرغت منه فانقدوني مبلغاً وافراً من الذهب ثم اخرجوني مربوط العينين كما ادخلوني

وكان الرجل الاول يسمع هذا الحديث وهو مهتم به في نفسه اشد اهتمام وان كان لم

يظهر على وجهه شيء من علائم الاهتمام به . فلما سكت كامين ساله افلم تسترق نظرة من وراء الرباط وتنظر الى طريق المنزل الذي دخلته . فاجاب كامين ضاحكاً لا اكتمك انني استرقت نظرًا فانني وانا عائد من المنزل عثرت بدرجة فكدت اسقط فاغتنمت هذه الفرصة وزحزحت الرباط . فقال الرجل باهتمام . فماذا ابصرت . قال ابصرت صفوفاً واسعة طويلة من الاشجار . فقال الرجل ان هذا يدل على ان المنزل قائم في شارع كبير فاجاب الحداد ذلك محتمل

ولكن ما اتى كامين على هذا الكلام حتى دخل ثلاثة اشخاص الى الحانة وجلسوا امام المائدة الذي كان كامين وصاحبه جالسين اليها . فسكتا وحانت منهما التفاتة فسال كامين من هم هذان الرجلان والمراة . فقال . الرجل الاول هو جان بول مارات (١) فسال كامين والاحدب الثاني . فاجاب هو بروسبير فريه . فقال كامين والمراة الجالسة بينهما . فضحك الرجل الاول وقال اذا سميتها لك لم تصدقني فقال كامين ومن هي . فاجاب الرجل هي « الدوق دكويلون في زي امراة »

ولكن ما لفظ الرجل هذه الكلمة حتى ارتعدت فرائص المراة والتفتت الى الرجل الذي سماها والتفت الرجلان الى تلك الجهة معها . فوقعت ابصارهم على الرجل الذي يجالس كامين فدهشوا واستعدوا للقيام على الاقدام قيام اكرام واحترام من مرؤوس الى رئيسه . فوضع الرجل الاول اصبعه على فمه مشيرًا لهم بالسكوت والجلوس ثم نهض مع كامين وخرج من الحانة كانه وقف منه على ما كان يجب الوقوف عليه

وفي خروجه من الحانة ابصر الشعب مضطرباً يركض وراء رجل يدعى المزين ليونار واثنان من الرجال يحملان راسين بشريين من رؤوس الحرس الذين قتلوا في فرساليا وغرضهم ان يجعلوا ليونار يمشط شعر الراسين ويزينهما كما يزين رؤوس الاحياء . وكان هذا الجمهور الذي يحمل الراسين طليعة الشعب العظيم القادم بالملك من فرساليا

---

(١) مارات — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ٥٢

الفصل الثاني

﴿ كاليوسترو الرجل الهائل ﴾

ولم تنقضِ مدة يسيرة حتى وصل موكب الملك الى باريز ووراءه مركبات اعضاء المجمع الوطني . وكان الملك هادئاً جامداً في مركبته والملكة شامخة الراس في مركبتها تحمل بين يديها ولي عهدها و بازاءها الدكتور جيلبار يمشي على قدميه بازاء باب المركبة. اما بيلوفانه بقي مع الكونت دي شارني في فرساليا لدفن جثة جورج . واما اندري امرأة الكونت دي شارني فانها كانت جالسة في مركبتها وراء الملكة وهي مبهوتة جامدة غير ملتفتة الى الحركات الهائلة التي كانت تجري حولها كانها تمثال من رخام ناصع البياض يزيده اسوداد الشعب من حوله جمالاً و بياضاً . الا ان عينيها كانت تبرقان وترعدان كلما وقعتا على سبيل الاتفاق على عيني الدكتور جيلبار الذي كان سائراً بازاء مركبة الملكة

وكان الشعب يهتف ملءَ رئتيه « فليحيَ لا فاييت فليحيَ ميرابو » كأنَّ الملك غير موجود في ذلك الموكب او كأن لافاييت وميرابو هما الملكان الحقيقيان

اما لافاييت فانه كان سائراً على جواده امام مركبة الملك وسيفه مصلت في يمينه وهو يحيي الشعب به و يرفع قبعته . واما ميرابو فانه كان جالساً في احدى المركبات التي كانت تقل أعضاء المجلس الوطني وقد جعل مجلسه السادس في المركبة ليكون قرب النافذة طلباً للهواء اللازم لرئتيه الواسعتين . وكان يُخرج راسه من نافذة المركبة ليشاهد الشعب كلما صرخ الشعب « فليحيَ ميرابو »

وكان الشعب ينشد مع ذلك الصراخ اناشيد مختلفة و يتحادث بامور كثيرة . فكأن الملكة قد ثقل عليها صراخه ولا سيما هتافه لميرابو ولافاييت دون الملك فالتفتت الى جيلبار السائر امام مركبتها وسالته متهكمة . ماذا يقول شعبك ايها الدكتور

فعض الدكتور جيلبار شفتيه لهذا السؤال وقال في نفسه « لا تغير هذه المراة عادتها » ثم اجابها . وا اسفاه يامولاتي ان هذا الشعب الذي تسمينه شعبي هو في الحقيقة شعبك وقد كان يهتف لك منذ سنوات اضعاف الهتاف الذي تسمعينه الآن

فقالت الملكة مستاءة من هذا الجواب . انا لا اسالك عن هذا وانما اسالك بماذا

يهتف وماذا ينشد وما هو موضوع حديثه حتى اننا نسمع له هذه الضوضاء الشديدة

فاجاب الدكتور جيلبار انه يهتف « ليحيَ ميرابو ولافاييت » (١) فقالت الملكة متهكمة ولماذا يطلب الشعب ان يحيىَ ميرابو ولافاييت . فقال الدكتور جيلبار يطلب الشعب ذلك وانا اطلبه معه لاننا لا ننقذ الملكية الا ببقاء هذين الرجلين واتحادهما

فقالت الملكة وقد ارادت تغيير هذا الكلام لانه كان لا يرضيها وماذا ينشد الشعب فسكت الدكتور جيلبار . فقالت لا تسكت يادكتور وصرح لي بكل شيء لانه لا يسوئني شيء . فقال الدكتور ان الشعب ينشد يامولاتي انشودة الفها وهي

ان للخبازة مالاً لا يكلفها عناءً

فعبست الملكة وقالت . انا عالمة انه يلقبني الخبازة ولكني لا اعلم معنى هذين البيتين . فقال جيلبار ومعناهما ياسيدتي انك صاحبة السلطة وقادرة على الحصول على المال دون ان تتعبي فيه اي ان خزانة الدولة تحت امرك واموالها في قبضتك

فقالت الملكة وقد حولت وجهها ضجرًا وما هو حديث الشعب الآن . فقال جيلبار ان الشعب يقول الآن « انه قد حصل على الخباز والخبازة وخادمهما ولذلك فانه يؤمل ان يزول الجوع الذي يعانيه »

وكانوا يعنون بالخباز الملك والخبازة الملكة وبخادمهما ولي العهد

فقالت الملكة وما هذا الكلام البارد . فقال الدكتور جيلبار . ليس هذا الكلام باردًا ياسيدتي وانما هو نكتة لا تخلو من حكمة . فان الشعب يعتقد بانه يوجد في فرساليا تجارة عظيمة بالدقيق . وهذه التجارة هي التي تحول الدقيق في اعتقاده عن باريز الى فرساليا لمنفعة الملك واتباعه . فاذا سكن الملك باريز تحولت اليها تجارة الدقيق فزالت المجاعة الهائلة التي يقاسيها الباريزيون الآن . واي شيء احسن من ان يعتقد الشعب ان الملك لا يحل بين ظهرانيه حتى تحل البركة معه فياتيه خبزه عفوًا . وفي الحقيقة اليس الملوك نوابًا عن الله الذي يوزع الخبز على البشر . واذا كان الملوك نوابًا عن الله في توزيع الخبز فاية غرابة في ان ينتظر شعب خبزه من الملك و يطلب ان يكون ساكنًا بين ظهرانيه ليكون قريبًا منه فيتمكن من توزيع الخبز عليه

فحولت الملكة حينئذ نظرها عن جيلبار والغضب بادٍ في عينيها لعدم رضاها عن

(١) ميرابو ولافاييت — انظر نهضة الاسد الجزء الاول الصفحة ١٠٣ والثاني صفحة ١٧

هذا الكلام واذا باصوات ارتفعت وحركة عظيمة حدثت في الشعب المجتمع حول مركبتها فالتفت جيلبار ليرى سبب ذلك فابصر الشعب يندفع فرارًا من وجه جمهور قادم نحو الملكة وهو يحمل الرأسين اللذين مرّ ذكرهما ليريها اياهما . فصاح عند ذلك الدكتور جيلبار بالملكة مولاتي استحلفك بالله ان لا تنظري الى يمينك

ولكن الملكة كانت ممن لا يرهبهم شيء ولا يطيعون امرًا فما سمعت كلام الدكتور حتى التفتت الى اليمين فابصرت الرأسين المحمولين على رمحين فصرخت صراخًا هائلاً غير انها ما صرخت هذا الصوت حتى انصرف نظرها عن هذا المنظر الهائل الى منظر اشد هولاً

ذلك انها وجدت في الجهة التي التفتت اليها رجلاً واقفًا ينظر اليها وهو باسم . فعرفت هذا الرجل ولذلك اصفرّ وجهها حتى صار كوجوه الاموات وخفق قلبها وشخصت عيناها اليه كانها اصبحت عاجزة عن صرفهما عنه

وكان هذا الرجل الذي احدث في الملكة هذا التاثير المخيف هو الرجل الذي حادث في الحانة الحداد «كامين» وشرب الخمر معه

اما جيلبار فقد راعه اصفرار الملكة وخوفها ولا سيما انه رآها تنظر الى جهة غير جهة الرأسين . فتحقق المكان الذي كانت تنظر اليه مبهوتة خائفة ونظر اليه ايضًا

ولكنه ما وجه نظره اليه ووقع نظره على ذلك الرجل حتى اجفل جيلبار واي اجفال وحينئذ خرج من فمه ومن فم الملكة معًا هذه الكلمة

— كاليوسترو . يالله (١)

فضحك ذلك الرجل ومد يده مشيرًا باصبعه الى جيلبار اشارة معناها: تعالَ مسرعًا .

(١) كاليوسترو — هو الكونت كاليوسترو الذي كان له في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر شان عظيم . وقد اختلفت الاقوال في نشأته . على انه كان يزعم انه ولد في مالطه او في المدينة وانه ساح في تركيا والنمسا وجزائر الارخبيل واسيا وافريقيا فلم يترك بقعة من الارض حتى داسها وعرف اخلاق سكانها . وكان يزعم معرفة الغيب ويدعي انه اكتشف سر تحويل المعادن الى ذهب ولذلك كان لغناه ينثر الذهب نثرًا في البلاد التي كان يسيح فيها . وقد عظمت شهرته في آخر ايامه وخشيه الناس حتى العظماء . اما النساء فكن يحسبنه الهًا لشدة تسلطه عليهن وخوفهن من افشائه اسرارهن . وكان يقول انه يجعل كل فتاة عذراء تقرأ المستقبل من نظرها الى زجاجة ماء يريها اياها . وقد كان صديقًا

واتفق ان الشعب كان يزحم مركبة الملكة في تلك الساعة فمدت الملكة يدها ودفعت جيلبار لحفظه من الزحام فحسب جيلبار ان الملكة تامره بالذهاب الى ذلك الرجل · فسار نحوه · اما الرجل فلما راى جيلبار قد قصده ترك مكانه وسار في طريقه متلفتاً من حين الى حين ليرى اذا كان الدكتور لا يزال يتبعه · واما الملكة فقد استمرت سائرة في موكب الملك وهي غائصة في بحر الافكار والتاملات

الفصل الثالث

ملكي وجمهوري

وما زال الرجل سائرًا والدكتور جيلبار يتبعه حتى وصلا الى قصر شاهق فقصد الرجل المجهول بابًا صغيرًا وفتحه بمفتاح معه ثم ابقى الباب مفتوحاً لدخول ضيفه · فدخل الدكتور وراءه

فراى الدكتور نفسه في فناء واسع فصعد منه الى القصر ودخل الى قاعة مفتوحة وهي مفروشة باثمن الاثاث وافخر الفراش ولبث ينتظر فيها لان الرجل غاب عنه في القصر بعد دخوله

ولكنه ما غاب بضع دقائق حتى عاد اليه وكان قد غير ملابسه ولبس ثيابًا من افخر الثياب · فلما رآه الدكتور قادماً اليه وهو باسم الثغر هرع اليه والقى نفسه بين ذراعيه قائلاً — يامعلمي · فقال الرجل وهو يضحك · لا ياجيلبار لم اعد معلمك لانك اصبحت رجلاً كبيرًا وقد عملتَ من الاعمال الكبيرة ما صيرني تلميذك وصيرك معلماً لي

حمياً للكردينال روهان الذي كان يثق بقوته ومن اجل ذلك اتهم بمسالة «عقد الملكة» وهي المسالة التي اتهم بها الكردينال · ولذلك حكم عليه بالسجن ثم بالنفي من فرنسا · وكانت الملكة ماري انطوانت تخشى شره وتريد بُعده ولذلك ارتاعت هنا لما رأته عاد من منفاه واكثر المحققين على ان هذا الرجل مشعوذ كبير يتلاعب بعقول الناس ويدجل عليهم · اما ديماس فانه يجعله رجلاً قويًا كما ترى في هذا الفصل والفصول الغريبة التي تتلوه · وقد كان كاليوسترو يتاجر بالماسونية اي انه كان يتخذها لقضاء اغراضه · ولما كان يقول عن الملوك «اننا نسقطهم» فقد كان يعني بقوله نفسه والماسونيين رفاقه · وقد انشأ في

ثم جلسا فقال جيلبار شكرًا لك على هذا الثناء ولكن من ادراك بما صنعت حتى تقول هذا القول

فنظر اليه الرجل ضاحكاً وقال . الا تزال تسالني هذا السؤال كانك نسيت انني اقرأ ما في القلوب واعرف ما في الكلى . فضحك جيلبار وقال ولكنني رجل مادي كما تعلم . فقال انت مادي اي انك لا تصدق الا بالبرهان فاليك البرهان . اتريد ان اقص عليك ما صنعته من يوم افتراقنا الى الآن حادثة حادثة فقال جيلبار نعم اريد ذلك . فاخذ الرجل يقص عليه كلما صنعه من صغيرة وكبيرة حادثة حادثة حتى دهش الدكتور وظهرت دلائل الاستغراب على وجهه بالرغم عنه . فساله الرجل ما قولك الآن . الا تزال تسالني من يدربني بالامور فقال الدكتور اشكرك على هذه الاقوال التي قلتها لانها تدل على شديد اهتمامك بي وسؤالك عني

ثم قال الدكتور جيلبار تكلمت الآن عني فهل لك ان تتكلم عن نفسك . فقال ماذا تريد ان اقول . قال اريد ان تخبرني ماذا فعلت في السنوات الثماني الماضية التي افترقنا في اثنائها فاجاب كاليوسترو

صنعتُ ما صنعته انت اي انني كنت ادنو من الملوك والامبراطرة . ولكن الفرق بيني وبينك انك تدنو منهم لتثبتهم وتعينهم وانا ادنو منهم لاسقطهم عن عروشهم فقال جيلبار وبماذا تسقطهم فقال ذلك الرجل

اسقطهم بانني اجعلهم فلاسفة وعلماء . ولا اكتمك ان فولتير وديدرو قد مهدا لي

باريز في حوالى سنة ١٧٨٤ لوجاً ماسونياً سماه « اللوج المصري » وجعل فيه لقب « القبطي العظيم » مكان لقب « المحترم » ثم انشأ لوجاً آخر سماه لوج « ايزيس » كان خاصاً بالنساء وكان في جملة الداخلات فيه مدام جنليس والكونتة بريين ومدام شرلوت دي بولينياك من عائلة بولينياك الشهيرة وغيرهن . وكان اللوج المصري تحت رعاية الدوق دي لكسمبورج

ولاسكندر ديماس رواية تدعى جوزف بالسومو سابقة لهذه الرواية وموضوعها كاليوسترو نفسه لان « جوزف بالسومو » من القابه . ولميرابو رسائل يصف فيها اخلاق هذا الرجل وقد الف كثيرون كتباً في هذا الموضوع . ولا ريب ان القارئ بعد ما علمه عن هذا الرجل قد اصبح كثير الاستطلاع لمعرفة ما يعمله ويراه كاليوسترو في الحوادث المستقبلة

هذا السبيل احسن تمهيد فضلاً عن صديقي الملك فردريك (١) الذي كان قدوة حسنة لجميع الملوك . ولكنني مع ذلك عانيتُ في هذا السبيل ما عانيتُ . على ان كل عناء في هذا السبيل لا يُعد امرًا مذكورًا بازاء النجاح . والنجاح مضمون ما دام كثيرون من الملوك يساعدوننا بجهلهم وغلوهم على قلبهم واسقاطهم كما ساعد بعض البابوات على اسقاط المذابح والهياكل . واحصِ معي الملوك الذين نجحنا الى الآن معهم . اولهم الامبراطور جوزيف الثاني (٢) شقيق ملكتنا الذي اخذ يضطهد الاكليروس و يلغي الديور و يطرد الرهبان حتى النساك من مناسكهم و يرسل الى شقيقتــه الملكة رسومًا تمثل رجال الدين شر تمثيل . وثانيهم ملك الدانمرك الذي كان يقول (١) وهو في السابعة عشرة من عمره « ان المسيو فولتير هو الذي جعلني رجلاً افتكر واعي ما في هذا الوجود » وثالثهم الامبراطورة كاترين قيصرة روسيا التي نالت من الفلسفة اوفر نصيب (٣) والتي كتب اليها فولتير مع انها كانت تعذب بولونيا وتجزئها « انني مع ديدرو ودالمبر اقيم لكِ هيا كل الاكرام والاحترام » ورابعهم ملكة اسوج ثم يليهـا امراء المانيا . هؤلاء هم الملوك الذين ربحناهم الى الآن بقوة الفلسفــة . فهل رأيت اعظم من الفلسفة واشد قوة منها في هذا العالم

فاجاب جيلبار ولكن بقي لديكم البابا فهل تستطيعون استمالته

فقال كاليوسترو اما البابا فان استمالته امر في غاية الصعوبة ولكن كما ان الملكية قد

(١) الملك فردريك — هو فردريك الثاني ملك بروسيا الملقب بفردريك العظيم وانما لقب كذلك لشهرته في ساحة الحرب ولانشائه الجيش البروسي وحبه للعلوم والآداب والفنون . وقد كان من انصار الفلسفة الحديثة ولذلك استدعى اليه فولتير لما اضطهده مقاوموه وكان شديد الميل اليه والاعجاب به وكان يكتب له « صديقي العزيز » . ولد في سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٨٦ . وكان قدوة حسنة لملوك اوربا كلهـا في نصرة الآداب وحب خير البلاد . ولذلك قال عنه كاليوسترو في هذا الفصل ما قال

(٢) جورف الثاني — هو الامبراطور جوزف الثاني ملك المانيا من سنة ١٧٦٥ الى ١٧٩٠

(٣) كاترين الثانية — هي قيصرة روسيا الملقبة بكاترين العظيمه وزوجة بطرس الثالث . حكمت روسيا وحدها منذ سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٩٦ . وكانت محبة للعلم والفلسفة ولذلك شهد لها فولتير الشهادة التي تراها فوق

تزعزعت ولقيت يومها فكذلك ستلقى البابوية يومها ايضاً . وقد كنت منذ مدة في قصر سنت انج (١) لما كنت انت منذ مدة في الباستيل

فقال الدكتور اكنت ضيفاً ام اسيراً . فقال كنت سجيناً فيه ولكني استطعت الفرار منه فاشاعوا انني انتحرت ودفنوا احد الحراس بدلاً مني ولو اتيتهم الآن وقلت لهم انني كاليوسترو لما صدقوني

فقال وكيف عدت الى باريز ألا تخشى ان يلقوا القبض عليك لسوابقك الماضية فقال ضاحكاً كلا لا اخشى الآن احداً لانني قادر ان اثير فتنة بكلمة واحدة لما لي من العلاقة مع الشعب . هذا فضلاً عن انني صديق للافاييت وميرابو ولك انت ايضاً فمن يستطيع ان يمسني بسوء . ومع ذلك فانني عدت الى باريز متنكراً باسم « البارون زانون » وانا ادعي انني صاحب بنك من جنوى اصرف الاوراق المالية مهما كانت قيمتها . وعلى ذكر الاوراق المالية اقول لك كلمة ياجيلبار فاخبرني الست في حاجة الى المال

فقال جيلبار ضاحكاً كلا فانني املك ٢٠ الف ليره دخلاً سنوياً . فقال كاليوسترو ضاحكاً نعم انني اعلم بذلك واعلم ايضاً انك شريك لبيلو المزارع القوي الذي تبقيه في باريز لمساعدتك بالرغم عنه مع ان عائلته الآن تحتاجة اليه في بلاده . ولكني اذا عرضت عليك المال الآن فانما افعل ذلك للمستقبل اذ ربما احتجت الى مال كثير وكنت غير قادر على الوصول الى شيء منه فحينئذ ليس عليك الا ان تقصد هذا القصر فتدخل من الباب الذي دخلته الآن بضغطك على زر ساعلمك الآن كيف تضغط عليه ثم تصعد الى هذه الغرفة فتجد هذه الصندوقة في هذه النافذة فتمد يدك اليها وتضغط على هذا الزر فتنفتح لك فتجد فيها دائماً لا اقل من مليون فرنك

قال الرجل ذلك ثم ضغط على الزر فانفتحت الصندوقة وبان للدكتور ضمنها كومة من الذهب واوراق مالية كثيرة . فاجابه الدكتور شكراً لك يا معلمي ولكن اخبرني ماذا قدمت تصنع في باريز . فاجاب كاليوسترو قدمت لاصنع ما صنعت انت في الولايات المتحدة : اي ان اؤلف جمهورية

---

(١) سنت انج — هو حصن من حصون رومه اتخذته السلطة البابوية تارة سجناً للذين تريد سجنهم وطوراً ملجاً لها . وقد سجن فيه كاليوسترو هو وامرأته في ٢٣ دسمبر سنة ١٧٨٩ بامر من ديوان التفتيش وذلك لانه ماسوني وقد حُكم عليه بالاعدام ثم ابدل الاعدام بالسجن المؤبد

فهز جيلبار راسه وقال وهل تظن ان في فرنسا روحاً جمهورياً · فقال سنبث فيها هذا الروح · قال ولكن الملك يقاومكم · قال ذلك من المحتمل · قال والاشراف يحملون السلاح لاحباط مساعيكم · قال ذلك من المحتمل · قال فماذا تصنعون حينئذٍ · قال اذا لم نستطع ان نصنع جمهورية فاننا نصنع ثورة

فلوى جيلبار راسه على صدره ولبث مفكراً · ثم قال · امر هائل يا يوسف اذا وصلتم الى هذا الحد· فقال نعم يكون هائلاً اذا وجدنا في طريقنا كثيرين بقوتك ومقدرتك· فقال جيلبار انا لست قوياً ولكنني امين لمبداءي · فقال كاليوسترو وهذا اشد علينا من القوة (١) ولكن ما رايك في عملنا · فقال جيلبار رايي اننا قادرون عليكم· قال على ماذا انتم قادرون · اعلى منعنا من ان نعمل · قال كلا ولكن على ايقافكم في الطريق قبل الوصول الى غرضكم · فقال كاليوسترو

لا شك انك تجنون ياجيلبار لانك تجهل مهمة فرنسا والوظيفة التي خُلقت لها في العالم وليس في استطاعة احد ان يمنعها منها · ان فرنسا هي دماغ العالم فيجب ان يكون هذا الدماغ حراً يفتكر بما يشاء ليعمل العالم بفكره ويكون حراً مثله · اتعلم ما الذي هدم الباستيل ياجيلبار

قال الشعب هدمه · قال كلا فان قولك هذا من قبيل اعتبار المعلول علة · ليس الشعب الذي هدم الباستيل · فان ملوك فرنسا صرفوا خمسمائة سنة وهم يسجنون فيه الامراء والنبلاء والاشراف ومع ذلك فقد بقي الباستيل قائماً · ففي ذات يوم خطر لملك جاهل ان يسجن فيه الفكر · الفكر الذي يحتاج الى الفضاء الذي لا نهاية له ليرفرف فيه · الفكر الذي لا يُحصر في مكان الا ويفجر ذلك المكان · ففجر الفكر الباستيل بقوته ونسفه نسفاً · فالفكر هو الذي هدم الباستيل لا الشعب ياجيلبار

فقال جيلبار لقد صدقت · فقال كاليوسترو اتذكر ما كان يقول فولتير قبل موته · انه كتب الى المسيو شوفلين في ٢ مارس سنة ١٧٦٤ اعني منذ ٢٦ سنة ما نصه

« كل ما اراه يدل على انه يوضع الآن في هذه البلاد بذار ثورة لا بد ان تنفجر يوماً من الايام · ويسوءُني انني لا اكون من شهود هذه الثورة · ولكن يسرني ان الفرنسويين سيصلون اليها وان كانوا متاخرين · فان النور آخذ بالانتشار يوماً عن يوم

(١) ما اجمل هذا الكلام

حتى انه سياتي يوم يكفي فيه اقل الامور لينفجر انفجاراً . وحينئذٍ تحدث ضوضاء جميلة فما اسعد الفتيان لانهم سيرون اموراً شائقة »

هذا ما كتبه فولتير منذ ٢٦ عاماً وانت ترى انه كان نبياً اذ هل رايت اجمل من هذه الضوضاء التي يقوم بها شعب باريز في هذا الزمان . ومع ذلك فما زلنا يا جيلبار في بداية الضوضاء

فقال جيلبار نبوءتك نبوءة شؤم . فقال كلا وانما ارى الدلائل تدل على ذلك . اسمع لاقص عليك هذا الخبر . من منذ بضعة ايام زرت صديقاً لي يدعى الدكتور كليوتين(١) فهل تعلم باي شيء وجدته مشغولاً وجدته يصنع آلة هائلة تعدم ٥٠ او ٧٠ او ٨٠ شخصاً في اقل من ساعة . فهل ليس ذلك دليلاً على ان هذا الزمان قد اصبح محتاجاً الى هذه الآلة حتى قام رجل يفكر باختراعها . اولا تذكر ما يقولون من ان الحاجة ام الاختراع واذا كانت هيئتنا الآن محتاجة الى هذه الآلة فذلك دليل على ان رؤوساً كثيرة ستسقط عن اكتافها يضيق اوقات الجلادين عنها . ومن اجل ذلك قلت لك اننا الآن لا نزال في بداية هذه الضوضاء

فتضجر جيلبار من هذا الكلام وقال . انك تخيفني بهذا القول يا يوسف فلماذا لا تكون هنا معزياً ومطمئناً للافكار كما كنت معي في اميركا

فقال كاليوسترو بهدوء . لان البون بين هنا وهناك عظيم . فقد كنا هناك في وسط هيئة آخذة بالنهوض ونحن الآن في وسط هيئة آخذة بالسقوط

فقال جيلبار . انني اترك لك النبلاء يا كونت فليسقطوا . ولكني اريد انقاذ الملكية لانها حصن الامة

فضحك كاليوسترو ثم قال . الا تزال الكلمات الكبيرة تفتن عقلك ليس . من حصن للامة غير الامة نفسها ومع ذلك فالملكية لا يمكن انقاذها بملك كهذا الملك

فقال جيلبار ولكنه من نسل عظيم . فاجاب كاليوسترو نعم انه من نسل نسر ولكنه انقلب الآن وا اسفاه حماماً . وهل ترى في لحمه الرخو وشفتيه البارزتين المتدليتين وعينيه الضعيفتين وخطوته الواهنة ما يدل على نشاط وقوة ارادة يستطيع بهما الخروج من الهاوية التي سقط فيها . قابل بينه وبين سان لويس وفرنسوى الاول وهنري الرابع ولويس الرابع عشر وفيليب اغسطس اولئك الرجال الذين كانوا ممتلئين قوة ونشاطاً وانظر الا ترى فيهم ما يدل على انهم قوم ينهضون وفيه ما يدل على انه رجل آخذ في السقوط . وسبب ذلك

(١) هو طبيب فرنسوي صانع « الكليوتين » الآلة القاتلة ولد سنة ١٧٣٨ وتوفي سنة ١٨١٤

« الزواج بين الاقرباء » . فان اجداد لويس السادس عشر كانوا يتزوجون باقرب البنات اليهم وهكذا يتكرر دم العائلة فيهم فيضعف شيئاً فشيئاً لعدم دخول عنصر قوي جديد اليه من دم غريب . انظر آخر الرجال من الاسر المالكة التي سقطت انظر هنري الثالث آخر اسرة فالوى وغاستون آخر اسرة مدسيس والكردينال ديورك آخر اسرة ستوارت وشارل السادس آخر اسرة هبسبورج فانهم كلهم كانوا ضعاف العزائم صغار النفوس وذلك لان دماء اسرتهم تكررت فيهم بزواج اجدادهم باقرب قريباتهم . اترك الانسان وخذ الحيوان خذ كلباً او فرساً جواداً وكرر النسل فيه مراراً من غير ان تدخل الى نسله دماً غريباً عن نسله فانك عند الفرس الرابع من هذا النسل تجد هذا الفرس احط كثيراً من الفرس الاول . فاذا كان نسل الحيوان يضعف بتكرار دمه فكيف الانسان . ماذا ترى في هذا ايها الدكتور

فنهض حينئذ جيلبار واتجه صوب الباب قائلاً ان قولك هذا يزيد خوفي ورغبتي في البقاء قرب الملك . فقال كاليوسترو ولكنني احبك ياجيلبار . احبك ولذلك اشير عليك بان تنصح للملك ان يهرب من باريز ويترك فرنسا كلها . فالتفت اليه جيلبار وقال وكيف تستجيز ان تشير على الجندي ان يفر من مكانه . فاجاب كاليوسترو بهدوء . نعم اذا كان العدو قد احاط بهذا الجندي من كل جانب واقفل دونه كل باب للامل فانني اشير على الجندي بالانسحاب والتماس مفر

فقال جيلبار بشيء من الحدة . انت تعلم يا كونت انني رجل لا يعبأ بتصاريف الزمن . فليكن ما يكون فانني انصح له بالبقاء في مركزه . استودعك الله يا كونت . ستراني واراك في اثناء النضال وربما نمت واياك النوم الابدي في ساحة القتال الواحد بجانب الآخر . فقال كاليوستروستري ان نبوأتي كانت صادقة . فالتفت اليه جيلبار وهو سائر وقال ضاحكاً اما زلت تقصد اقناعي بانك نبي

وهنا قُرع الباب . فقال جيلبار . اسمع يا كونت ان الباب يُقرع وانت تدعي النبوءة فهل لك ان تخبرني الآن قبل ان ترى القادم من هو وماذا يحدث له

فقال كاليوسترو بهدوء ان القادم هو المركيز ففراس وهو من عملاءي الذين يستقرضون المال مني . فقال وماذا يحدث له في حياته

فقال انتظر لاقول لك ذلك ان يدخل . ثم اتجه نحو الباب وفتحه فدخل رجل تدل هيئته على انه من اكابر النبلاء . فسلم على كاليوسترو فعرفه كاليوسترو